العيـــون والجواســيس
في العـــصر الأمـــوي

د. كرم حلمي فرحات
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامعة الزقازيق

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وبعد..

نظرًا لأهميـة استخـدام العيون والجواسـيس في مجال أمن البـلاد، نجد أن أعمـالها كانت مـوجودة مع الإنسـان منذ القِدم، ولكنها أصـبحت في العـصر الأموي أكثـر استخدامًا وتركـيزًا وتطورًا، وقد دفعني إلى اختـيار هذا البحث، مدى حساسية وخطورة هذا الموضوع، ومـدى أهميته بالنسبة للدولة الأموية في مجال الأمن ومقـاومة الجسوسية المضـادة، وكقطاع هام في الدولة من قطاعات القوات الإسلامية في ذلك العصر.

وكذلـك عدم وجـود بحوث علمـية أفـردت هذا الموضوع وتناولتـه بشكل مُفصل وموضح خلال العصر الأموي.

وتسليط الضوء على هذا الصنف المهم من صنوف القوات الإسلامية، الذي يمثل الجندي المجـهول الذي يخـفى على الكثيـرين، وهو في الحقـيقـة صاحب الفضل في الانتصارات، وفي إبطال خطط العدو ودحر جحافلهم.

وإلقاء الضوء على مدى ما قام به هذا الـنوع من البشر من أجل تحقيق إنجازات عظيمـة في تاريخ الأمة الإسـلاميـة، حيث تجلو لها الحـقيـقة، وتهيـئ لها الأمن والأمان، واكتـشاف جانب من جوانب الأمـة الإسلامية، ومدى مـا أنجزته في هذا المجال الحيوي على صعيد الدولة المركزية، أو على صعيد دول الأطراف والثغور.

ورغم حصول هذا العمل الأمني في الوقت الحاضر على تقنيات وأساليب علمية عالية المستوى تحت مسمى «جهاز المخابرات»، إلا أن دراسته في العصر الأموي تحت مسمى «العيون والجواسيس» تُبين لنا أن التاريخ هو قيمة معنوية وتربوية وأخلاقية، وهو خلاصة تجارب ولدت على أرضية الواقع بكل آلامه ومخاضاته، ونجاحاته وإخفاقاته، وعلى الأمة أن ترجع إلى تاريخها في عصوره الزاهية، فهو المعين الذي لا ينضب لاكتشاف الحقائق، التي يمكن أن تُوظّف في تسهيل طريق الأمة نحو العصرنة، واستعادة دورها التاريخي الذي أراده الله لها، وإلا قام أعداؤها بهذه المهمة، ووظفوا هذه الحقائق لمصلحتهم في توجيه مزيد من الأذى والعدوان إلى الأمة الإسلامية.

لقد حرصت على التحليل والنقد في هذا البحث، وذلك بالوقوف أمام كثير من الروايات، ثم أتناولها بالنقد والتحليل، وبيان ما أسفرت عنه من نتائج، وما رمت إليه من أهداف، وما كشفت عنه من براعة أداء العيون، والقيام بما كُلفوا به من مهام على أكمل وجه.

كان تركيزي على المصادر الأولية القريبة من العصر الأموي بقدر ما هو متاح مثل: كتاب فتوح الشام للواقدي ت ٢٠٧هـ، وكتاب الأموال لابن سلام ت ٢٢٤هـ، وتاريخ خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ ، وفتوح مصر لابن عبدالحكم ت ٢٥٧هـ، وعيون الأخبار، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ، وفتوح البلدان للبلاذري ت ٢٨٢ه، وتاريخ الطبري ت ٣١٠هـ، وكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ت ٣٣١هـ، ومروج الذهب للمسعودي ت ٣٤٦هـ .

كما رجعت إلى بعض المصادر المتأخرة نسبيًا مثل: تاريخ ابن عساكر ت٥٧١هـ، والكامل لابن الأثير ت ٦٣٠هـ ونهاية الأرب لشهاب الدين النويري ت ٣٧٢هـ، وتاريخ الإسلام للذهبي ت ٧٤٨هـ، وصبح الأعشى للقلقشندي ت ٨٢١هـ، وغيرها من الكتب، وذلك لاحتوائها على روايات أصيلة فقدت مصادرها الأصلية، أو للاستفادة من وجهات نظر مؤلفيها تجاه الأحداث، فقد امتلك كثير منها ثقافة موسوعية متنوعة، مكنتهم من تفسير لبعض الأحداث

دون انفعال أو حساسية، تؤدي في النهاية إلى نتائج موضوعية كما اعتمد البحث على عدد من المراجع المهمة ذات الصلة بالموضوع مثل: كتاب الجاسوسية بين الوقاية والعلاج لأحمد هاني، والاستخبارات العسكرية في الإسلام لعبد الله علي مناصرة، والمدخل إلى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الإسلامية لمحمد جمال الدين محفوظ، وكتاب التجسس لمحمد راكان الدغمي.

لقد اشتمل هذا البحث على تمهيد وستة مباحث وخاتمة.

تناول **المبحث الأول** التعريف بمصطلحي العيون والجواسيس لغة واصطلاحًا، والحديث عن مدى اهتمام الأمويين باستخدامهما.

أما **المبحث الثاني** فقد تناول الحديث عن صفات العيون والجواسيس في العصر الأموي.

و**المبحث الثالث** تناول الحديث عن أنواع العيون والجواسيس في العصر الأموي.

و**المبحث الرابع** تناول الحديث عن تطور أساليب العمل الأمني للعيون والجواسيس.

و**المبحث الخامس** تناول الحديث عن الهيكل الإداري والتنظيمي للعيون والجواسيس.

و**المبحث السادس** تناول الحديث عن الواجبات المنوطة بالعيون والجواسيس.

أما **الخاتمة** فقد تضمنت ما تمّ التوصل إليه من نتائج تمخض عنها البحث.

***

المبحث الأول

منذ وضع النبي ﷺ قواعد فن الحرب الإسلامي، أبرز أهمية الحصول على المعلومات، بقدر يعادل حرمان العدو من معلومات يفيدون منها في كيدهم للمسلمين والنكاية بهم، والشواهد كثيرة ومعروفة، من إرسال للطلائع، مثل سرية الاستطلاع التي أرسلها النبي ﷺ بقيادة عبدالله بن جحش في السنة الثانية للهجرة في اثني عشرة رجلاً من المهاجرين إلى منطقة «بطن نخلة» لكي يرصد بها عير قريش، ويُعلم للنبي ﷺ من أخبارهم[1] . واستجواب الأسرى، كالاستجواب الذي وجهه النبي ﷺ لغلامين من قريش كانا عند ماء بدر يستقيان الماء، فجيء بهما إلى النبي ﷺ، فتولى استجوابهما، فعلم منهما أن قريشًا وراء الكثيب، وعرف منهما عددهم، وإن أشراف قريش جميعًا خرجوا للقتال[2] . ومن حرص على تضليل العدو، ومن اتخاذ التدابير والحيطة ومنع تسرب المعلومات.

وقد سار بنو أمية على هذا النهج، فكانت عيونهم تسير مع الجيوش وتلازم الولاة، حيث ربط أمراء المسلمين بين مسألة الأمن الداخلي، ومسألة الأمن الخارجي، واعتبروهما مسألة واحدة، فاستخدام العيون والجواسيس وسيلة من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الولاة، وتعتمد عليها الجيوش.

أولاً: العيون لغة واصطلاحًا:

أ- العيون لغة: إن العين عند أهل اللغة من حيث المعنى والمضمون كالخليل بن أحمد هو الذي يُبعث لتجسس الخبر[3] ، ويُعرِّفه ابن دريد بأنه جاسوس القوم[4] .

---

(١) عبدالملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ، السيرة النبوية بهامش الروض الأنف، طبعة دار المعرفة- بيروت ١٩٧٨م ، جـ٣ / ١٨ .

(٢) المصدر نفسه جـ٣ / ٣٤ .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، طبعة دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٤: ٢ / ٢٥٥ .

(٤) محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، طبعة دار المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ : ٣ / ١٤٥ .

ولدى ابن منظور هو الطليعة الذي يأتي بالخبر، وهو الجاسوس[1] ، وعرّفه الفيروزآبادي بأنه مَنْ يأتي بالخبر[2] ، وأشار الزبيدي إلى أن العين هو الجاسوس تشبيهًا بالجارحة في نظرها[3] .

من خلال استعراض قول اللغويين في العين، نجد أنهم ركزوا على صنوه وهو الجاسوس، وأن عمل العين والجاسوس لغة يتعلق بجلب الأخبار، ويبحث عن مواضع ضعف العدو، وعن حركاته.

ب- العيون اصطلاحًا: إن استخدام المصطلح التاريخي، والمحافظة على مدلولاته الفكرية، بالطريقة التي ورد فيها هو أمر بالغ الأهمية، يرتبط بالهوية الثقافية للأمة، ويعزز الثقة في نفوس أبنائها، ويدفعهم إلى التمسك بهذه المصطلحات ذات التطبيقات التاريخية المضمونة، بدلاً من التنقل بين مصطلحات جاءت إلى ساحتنا الفكرية، عبر النقل الحرفي لبعض المصطلحات الغربية.

وبالنظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي نجد تآلف المعْنيين والاتفاق في الدلالة، وبذلك يمكن القول بأن العيون هم ذلك الصنف من المجاهدين، الذين برز دورهم إلى جانب الصنوف الأخرى من المجاهدين من الجيش الإسلامي.

هذا الصنف من البشر يجعل جلّ اهتمامه تحقيق أمن البلاد في الداخل والخارج، وذلك من خلال منع جواسيس العدو، وعيونه من التسلل إلى دار الإسلام، سواء للحصول على المعلومات، أو التخريب، أو بث الفرقة بين عناصر الأمة أو تجنيد عناصر بعينها من ذوي النفوس المريضة للعمل معه.

كما أن هذا الصنف من البشر لا يألو جهدًا في خدمة البلاد من حيث جمع المعلومات المتعلقة بالعدو، سواء فيما يخص قواته وقياداته، وخططه، وأهدافه، مرورًا بإمكانيات العدو البشرية والاقتصادية والعقدية، وطبيعة أراضي العدو وتضاريسها.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، ٤ / ٣١٩٥ .

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مطبعة السعادة - القاهرة (د. ت) ٢ / ٢٥٢ .

(٣) محمد مرتضي، تاج العروس، طبعة دار ليبيا للنشر والتوزيع- بنغازي سنة ١٩٦٦، ٩ / ٢٨٨ .

ثانيًا: التجسس لغة واصطلاحًا:

أ- التجسس لغة: هو البحث عن الأخبار، وفحصها والتفتيش عن بواطن الأمور[1]، وقد أشكل على كثير من الناس كلمة «تجسس» فيفسرونها بمعنى واحد، وهو مراقبة الناس والاطلاع على عوراتهم والعمل على إيذائهم.

والحقيقة أن هذا المعنى صحيح من بعض الوجوه وهو الوقوف على عورات المسلمين، استنادًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[2]، وليس هذا بمقصود.

ولكن هناك معنى آخر يختلف تمامًا عن المعنى الأول وهو: تتبع أخبار العدو الذي غالبًا ما يكون بواسطة العيون، وهو من الأمور المباحة في الإسلام عندما يكون المستهدف هو عدو المسلمين، وذلك لأخذ الحيطة والحذر.

والجاسوس من التجسس، وفي شرح مسلم[3]، أن العين هو الجاسوس، وقيل: الجاسوس يسمى عينًا؛ لأن عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها، فكأن جميع بدنه صار عينًا[4].

يشير الخليل بن أحمد إلى أن الجاسوس مشتق من جنس الخبر[5]، وعند الأنباري هو الباحث عن أمور الناس، فيقال: قد تجسس الرجل، وتحسس بمعنى واحد، وهو إجماع أهل اللغة[6].

---

(١) ابن منظور، محمد بن المكرم أبو الفضل ت ٧١١هـ، لسان العرب، طبعة دار المعارف - القاهرة بدون تاريخ، مادة «جسس».

(٢) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم، شرح الذهني، طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٧هـ، ٢ / ١٤٠.

(٤) الشوكاني محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥هـ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة بدون تاريخ ٨ / ١٠. وأحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية - القاهرة، ٦ / ١٦٨.

(٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ٦ / ٥.

(٦) محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، طبعة بغداد ١٩٨٧، ١ / ٤٧٣ - ٤٧٤.

نلاحظ في هذه الأقوال أن التجسس والتحسس هدفهما واحد، ومآلهما إلى معنى واحد، وأن كلاً منهما يعني: البحث عن الأخبار وتفحصها بصورة خفية، ومعرفة الأمور، والبحث عنها وطلبها.

ب- **التجسس اصطلاحًا**: هو البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أفراد التجسس بقصد الاطلاع عليها، والاستفادة منها، في إعداد خطة المواجهة[1].

فالجاسوس الذي يجمع المعلومات لوطنه يفيد دولته بجهوده، وبذله كل طاقاته لانتصارها، وهو جندي مخلص، يختلف بالنسبة لدولته عن الجاسوس الذي يجمع عنها ويعطيها لعدوها، فهذا عدو خطير، والأول جندي مخلص يتجسس الأخبار ويجمعها لدولته لإفادتها.

فقد اتخذ الرسول ﷺ العيون والجواسيس ضد العدو منذ هجرته إلى المدينة المنورة؛ ليترصد أخبارهم ويتعرف على نواياهم ومبلغ قوتهم وعددهم وعدتهم وتحصيناتهم فيكون منهم على حذر.

وعندما صارت الخلافة بيد الخلفاء الراشدين اهتموا بأمر العيون والجواسيس ليأتوهم بالأخبار، وطُلب منهم بأن يحذروا من عيون الأعداء أن تندس في صفوفهم[2].

وحين انتقلت الخلافة إلى بني أمية اهتموا بأمر العيون والجواسيس، وعملوا على تطور هذا الأمر في عهدهم، فكان اهتمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمرًا ملموسًا، ليس في أيام خلافته فقط، بل من قبل أن يلي أمر الخلافة منذ أن كان أميرًا على الشام، ولكن عندما ولى الخلافة زاد اهتمامه به»[3].

---

(١) محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية - دار السلام - القاهرة ١٩٨٥، ص ٢٩.

(٢) الواقدي محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، دار الجيل- بيروت بدون تاريخ ١ / ١٥، والمسعودي علي بن حسين ت ٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين، دار المعرفة - بيروت ١٩٨، ٢ / ٣٣١.

(٣) ابن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، الطبعة الثانية - دار الفكر - القاهرة ١٩٧٥م ص ١٩٤، وأبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢هـ، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، طبعة القاهرة ١٩٦٠م ص ١٨٩، وأحمد بن يحيى=

كان شغف الخلفاء الأمويين بأمر العيون والجواسيس شيئًا ضروريًا، ولابدّ لهم من الاهتمام بالأخبار التي تخص الأعداء والخصوم، والعمال والولاة، لئلا يُنسبوا إلى الضعف والغفلة، أو يجترئ عليهم الأعداء، فقد تعارف أن من أخلاق الملك اليقظ البحث عن كل خفي ودفين.

ولما وصل الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى الحكم أسس نظام البريد واعتنى به، وذلك لتسرع إليه أخبار البلاد من جميع أطرافها بما في ذلك أخبار الثغور، ولم يكن للبريد ديوان قبل ذلك[1] ثم أصبح صاحب البريد عين الخليفة الباصرة وأذنه السامعة، ينقل إليه أخبار عماله وقادته وسائر رجال دولته[2]. وقد تم ذلك بوضعه خيل مضمرات في عدة أماكن على الطرقات، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب مستريحًا غيره، وهكذا يفعل في المكان الآخر، حتى يصل الخبر بسرعة، وكذلك متجددات الأمور والأحوال، فما كان للبريد من فائدة أولى سوى سرعة وصول الأخبار[3].

لقد تحدث عبدالحميد الكاتب عن أهمية أمر العيون والجواسيس خلال العصر الأموي فيما كتبه عن الخليفة الأموي مروان بن محمد لبعض من ولاّه، وهو عبدالله بن مروان عندما أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، حيث تُظهر لنا من خلالها مدى اهتمامهم بالعيون والجواسيس، ومدى طريقة التعامل من قِبل الخليفة والولاة مع عيونهم ورجال أخبارهم، والتعليمات التي يأمر بها الخليفة للولاة من أجل الحفاظ على واستخبارات الوطن. فيقول:

= البلاذري ت ٢٧٩هـ، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ ١ / ١٨١، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧م ٥ / ٩٥.

(١) أبو هلال عبد الله بن سهل العسكري ت ٣٩٥هـ، الأوائل، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، منشورات دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض ١٩٨٠م، ١ / ٣٣١.

(٢) أبو علي الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول. طبعة بولاق - القاهرة ١٨٧٨م، ص ٨٣، ٨٥.

(٣) محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ الفخري في الآداب السلطانية، طبعة القاهرة ١٩٦٢ ص ٨٨.

«. . . ثم أذْكُ[1] عيونك على عدوك متطلعًا لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها، . . . احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوّك، وإياك ومعاقبة أحد منهم على خبر إن أتاك به اتهمته فيه. . ، واعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك، وربما كانوا لك وعليك، فنصحوا لك وغشوا عدوك. . . ، واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضًا، فإنك لاتأمن تواطؤهم عليك ومالأتهم عدوك. . . ، واحذر أن يُعرفوا في عسكرك. . . إلى آخر الرسالة[2] .

فإذا ما نظرنا إلى السطور السابقة نستطيع أن نخرج بالعديد من الأمور الاستخباراتية التي تفصح عن مدى شغف الخلفاء الأمويين بهذا العمل العظيم، كالسعي للحصول على معلومات هامة وضرورية عن العدو، حتى يتأتي لهم التخطيط السليم على أساس من أسباب القوة ومظاهرها، وأن هذا الاهتمام يوفر المعلومات الكافية عن نوايا العدو وتحركاته، وتوفر الإنذار المبكر للقيادة الأموية لكي تستعد وتتخذ إجراءات المواجهة اللازمة، وتفوّت على العدو هدفه، كما تبين لنا أن العيون والجواسيس من مظاهر الحذر واليقظة؛ لأنها تحول دون مفاجآت الأعداء، ويتبين لنا أن العيون والاستخبارات وقاية من الضرر والهلاك بتوفير المعلومات عن العدو ومقاومة العيون والجواسيس المعادية حتى تتحقق الوقاية للأمة والجيش من أسباب الهزيمة أو الهلاك[3] .

***

(١) أذك: أرسل . ابن منظور، لسان العرب «ذ. ك . و» .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨م، ١ / ٢١٥ .

(٣) انظر نص رسالة عبد الحميد الكاتب كاملة عن العيون والجواسيس والتعليق عليها في آخر البحث «ملحق البحث» .

البحث الثاني

صفات العيون والجواسيس في العصر الأموي

إن استخدام العيون والجواسيس من أشق الأعمال، لما ينطوي عليها من مخاطر، وما يؤول إليها من نتائج، وكفاءة العيون والجواسيس ترجع أولاً إلى كفاءة القائمين عليها، وأن الاختيار السليم لهؤلاء العيون على جميع درجاتهم هو أفضل الحلول للوصول إلى التقويم الصحيح في مجال عملهم، وبما أن عمل العيون والجواسيس من أشق الأعمال خاصة في العصر الأموي، نظرًا لارتفاع مستوى التحديات، وطبيعة الصراع الذي ساد هذا العصر، خارجيًا وداخليًا، يلاحظ أن صفات العيون قد تأثرت بذلك إيجابيًا من أجل إنجاز ما هو منوط بها من أهداف، ولابد من أن تتوفر فيمن يقوم بهذا العمل صفات معينة لكي يستطيع تحمل هذه المسئولية ويؤديها بنجاح، ومن أهم هذه الصفات:

١- السمع والطاعة: فعندما يوجه أي أمر للعين فإنه يجب عليه تنفيذ الأمر مهما كان صعبًا في تنفيذه، وذلك استجابة لأمر رسول الله ﷺ: «**السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[1].

لقد تحلى رجال العيون للخليفة معاوية بن أبي سفيان بالطاعة التامة له، وبتنفيذ أوامره أثناء قيامهم بواجبهم الاستخباري، ففي خلافته أُسِرَ رجل من المسلمين بالقسطنطينية وأهين ببلاطهم فاستغاث: وامعاوياه! لقد أغفلت أمورنا وأضعتنا، فوصل الخبر إلى معاوية عن طريق عيونه المنتشرة بأرض الروم، فأخفى معاوية الأمر واحتال فداء الرجل، ثم أسْر من أهانه في القسطنطينية لكي يقتص منه بمثل ما أهانه، وذلك عن طريق رجل من رجال معاوية وعين من عيونه، حيث رسم له معاوية الخطة التي عن طريقها يأتي ببطريق القسطنطينية الذي أهان الرجل المسلم، فما أن نفَّذ هذا العين الخطة وأتى برجل القسطنطينية

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤ / ٦٠، والإمام مسلم في صحيحه بشرح النووي ١٢ / ٢٢٢.

موثوقًا حتى قدم به على معاوية ووقف بين يديه، وأحضر معاوية الرجل المسلم وقال: قم فاقتص من البطريق واصنع به ما صنع بك ولا تزد[1] . فنجاح الخطة دليل على تنفيذ الأمر والطاعة ومدى دقة نظام العيون في التنفيذ، فعندما ننظر في هذا الخبر نجد أنه قد ورد في مصدر بعيد من حيث الزمن عن العصر الأموي، حيث ورد عن شهاب الدين النويري في القرن الثامن الهجري، حيث توفي سنة ٧٣٢هـ، وعلى الرغم من ذلك فقد تضمن هذا الخبر العديد من الأمور الاستخبارية المرتبطة بأمر العيون والجواسيس، فنلاحظ أن عيون الخليفة معاوية أخبرته عن الرجل المسلم الذي أسره الروم بالقسطنطينية، مما يدل على أن عيونه على وعي ويقظة تامة لكل صغيرة وكبيرة لما يحدث من جانب العدو، وأن الاتصال بينهما لا ينقطع ببعد المكان أو طول الزمان، كما يبين هذا الخبر مدى السرية التامة التي التزم بها الخليفة، وألزم بها عيونه وجواسيسه وهو يخطط لأسر بطريق الروم بالقسطنطينية جراء ما اقترف من تعذيب لأسرى المسلمين، والإتيان به إلى عاصمة الخلافة دمشق، كما يكشف لنا هذا الخبر استخدام الخليفة معاوية الغطاء الأمني والاستخباري لتغطية العملية التي سوف ينفذها عين من عيونه، فجعل هذا العين يستتر في مظهر التاجر العربي، ويختفي وراء نشاط التجارة في القسطنطينية حتى يستدرج البطريق الرومي من القسطنطينية إلى دمشق، وهذا ما تم بالفعل بناء على حسن التخطيط ودقة اختيار العين، ومدى القدرة على التخفي والتستر خلف نشاط تجاري، وبراعة الإيقاع بالبطريق، ومواصلة الاتصال دون انقطاع بين العين وبين الخليفة معاوية.

٢- الصمت وكتمان الأخبار: عُرف عن العيون والجواسيس ميلهم إلى الصمت عند تكليفهم بأداء مهمات معينة، وعدم كشف هويتهم بأي حال من الأحوال، فقد وضع الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٦هـ - ١٢٦هـ) العيون والجواسيس في خيار الناس وفضلاء العباد في سائر الأمصار والبلاد يحصون

(١) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥، ٦ / ٨٥ .

أقوال الولاة والعمال، ويحفظون أعمال الأخيار والأشرار، ولا يُعلم منهم واحد، ولا يرى لهم عابر[1] .

فالقائد الناجح هو الذي يكتم عن الناس سرّ المعارك قبل خوضها، وستر أسرار قواته عن عدوّه يكون ظفره به أو هزيمة عدوّه أمامه، وهذا يدل على مدى نجاح عيون القائد وجواسيسه، حيث عرّفت القائد بنوايا أعدائه مبكرًا، وكتمت أخبار القائد وخططه عن العدو، مما يظهر عجز عيون وجواسيس العدو، وحرمان العدو من الحصول على أي معلومات.

وإذا صعب على القائد منع عساكره من جواسيس عدوّه، فليحترس منهم بكتمان السر وستر العورة، وليتلطف لإخفاء كتبه مع عيونه وجواسيسه بألطف الحيل[2] . وليحرص على أن عيونه وجواسيسه دائمًا تكتم أمرها وتتجسس، وتخفى نفسها[3] .

٣- الصبر والتحمل وتمالك الأعصاب: يجب أن تتوفر في العيون والجواسيس صفة الصبر وتمالك الأعصاب في الأوقات الحرجة، وأمام أكثر المواقف إثارة، وقد ظهر مثال ذلك واضحًا عندما تمالك أحد العيون أعصابه، وهو يرى زوجة قائده الشهيد الجراح الحكمي[4] تتعرض وهي في الأسر

---

(١) أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ، الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، طبعة مؤسسة الحلبي - القاهرة بدون تاريخ ٢ / ١٠٨ .

(٢) الهرثمي الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عارف أحمد عبدالغني، طبعة دار كنان - سورية ١٩٩٥م ص ٢٤ .

(٣) علي بن أبي بكر الهروي ت ٦١١هـ، كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية، طبعة مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة بدون تاريخ ص ١٦ .

(٤) الجراح الحكمي هو الجراح بن عبد الله الحكمي، من القادة الأكفاء، الذين برزوا في العصر الأموي، وقد استشهد في «مرج أردبيل» سنة ١١٢هـ عندما تكاثرت الخزر والترك على المسلمين، ولما قتل الجراح الحكمي طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين، ابن الأثير علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، طبعة دار صارت، بيروت ١٩٨٢م، ٥ / ١٥٩، وابن العماد الحنبلي شذرات الذهب، طبعة دار المسيرة- بيروت ١٩٧٩م . ١ / ١٤٤ .

للمراودة عن نفسها، من قِبل أحد قادة الخزر، وهي تستغيث دون جدوى، وقام بجلب المعلومات المطلوبة لمعركة الثأر التي قادها سعيد الحرشي[1] .

فعلى الجاسوس أو العين أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من إثارة أو عقوبة إن ظُفر به العدو، بحيث لا يخبر بأحوال وطنه، ولا يُطلع على وهن في وطنه[2] .

٤- الإخلاص والتضحية: امتازت العيون والجواسيس المكلفة بضبط الأوضاع الداخلية، ومراقبة الجهاز الإداري بأن تكون من خيار الناس وفضلائهم في سائر البلدان[3] .

كما يمتازون بالإخلاص في العمل، والاستعداد للتضحية في أي وقت يفترض فيه التضحية، مهما تعرضوا للمغريات أثناء العمل، يجب أن يتصف الجاسوس بالشعور السامي، وأن يؤدي ما عليه من واجب بكل إخلاص وأمانة ووفاء، وأن يكون عنده الإحساس بالتضحية في سبيل الغاية التي يعمل من أجلها، وتنفيذ ما أمره به قائده[4] .

لقد حاصر «مسلمة بن عبد الملك بن مروان» ت ١٢٠هـ[5] حصنًا، فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله

---

(١) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ٤٨ - ٥٠ .

أما سعيد الحرشي، فهو أحد القادة العسكريين الأفذاذ، الذين ظهروا في العصر الأموي، واشترك في قمع تمرد ابن الأشعث، وقضى على حركة شوذب الخارجي، وتولى خراسان، ثم أرمينية، وأبلى بلاءً حسنًا في التصدي للخزر والترك، انظر أبا جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٣١٦، ٣٦٢، ٥٧٧، ٦١٩، ٧ / ٧ - ١٢، ٧٠، ٧١ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ .

(٣) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة ٢ / ١٠ .

(٤) أحمد هاني، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، طبعة الشركة المتحدة للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٧٤م، ص ٧٤ .

(٥) هو مسلمة بن عبدالملك بن مروان الأموي الأمير، ويلقب بالجراوة الصفراء، وكان موصوفًا بالشجاعة والإقدام والرأي والدهاء، وَلِي أرمينية وآذربيجان غير مرة، وإمرة العِرَاقَيْن، وسار في مئة وعشرين ألفًا، وغزا القسطنطينية في خلافة سليمان بن عبد الملك أخيه، وروى عن عمر بن عبدالعزيز. انظر: الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غبر، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥م جـ١ / ١١٨ .

ففتحه الله عليه وعليهم، فنادى مسلمة بن عبد الملك: أين صاحب النقب؟ فما جاء أحد، فنادى: إني قد عزمت عليه إلا جاء، فجاء الرجل فقال: أنا أخبركم عنه إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا. ألا تسوِّدوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة «أي تكتبوه»، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو، قال: فذاك له، قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلاّ قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب[1]. هذا نموذج لأحد العيون والجواسيس الذين أخلصوا في عملهم وعندهم الاستعداد الكامل للتضحية بأنفسهم ابتغاء رضا الله عز وجل.

٥- القدرة على المراوغة والدهاء والحيلة: يجب على العين والجاسوس أن يكون كثير الدهاء والحيلة والخديعة[2]، والتمويه[3]، لكي يتوصل بدهائه إلى كل موصل، ويدخل بحيلته في كل مدخل، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه[4]، كما يكون له القدرة على المراوغة في حالة الوقوع في الأسر، ومحاولة الوصول إلى الهدف، عبر استخدام أقصى طاقات العقل البشري، مع تقبل الشهادة في سبيل الله برحابة صدر[5].

ومن الممكن أن تقوم العيون والجواسيس بتوجيه القائد وإخباره بأن في جيشه عيونًا وجواسيس للعدو، فتخفيه بين الصفوف، ولابد من استخدام الحيلة والدهاء والمخادعة لكي يضللوا عيون العدو، مثل ما حدث مع القائد الجراح بن عبدالله الحكمي في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك ت١٠٥هـ، عند إزماع القائد الجراح بن عبدالله الحكمي السير لمحاربة الخزر سمع عن طريق عيونه وجواسيسه

---

(١) ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ، عيون الأخبار، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م ١ / ١٦٦.

(٢) الخديعة: هي مجمل التدابير الرامية إلى إخفاء العمليات الحقيقية عن العدو، ودفعه إلى الانتباه نحو عمليات موهومة، وتشتيت قواه. انظر: الهيثم الأيوبي وآخرين، الموسوعة العسكرية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت بدون تاريخ، ٢ / ٥٣.

(٣) التمويل: هو مجموعة التدابير الخاصة الرامية إلى إخفاء العمليات الحقيقية وللاختفاء عن رصد العدو بكل أشكاله دون أن يعطل هذا الاختفاء الهمة القتالية، الهيثم الأيوبي الموسوعة العسكرية ١ / ٣٠٩.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ١ / ١٢٣.

(٥) ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦م جـ٨ / ٤٧ - ٤٨.

بأن معه عيونًا متخفية بين صفوف جنده قد كاتبوا ملك الخزر بخبر مسيره إليه، فبحنكة من القائد وعون من عيونه وجواسيسه أمر مناديه أن ينادي في العسكر بأنه مقيم عدة أيام، وطلب منهم أن يستكثروا من الميرة والعلف، فكتبت عيون العدو إلى ملك الخزر بهذا، فاطمأن ملك الخزر بذلك، ثم لما كان الليل أمر القائد الجراح ابن عبدالله الحكمي بالرحيل نحو العدو، فباغتهم وتمكن من التغلب عليهم[1].

٦- تعلّم لغة العدو: تعلم لغة العدو من الضروريات في مجال استخدام العيون والجواسيس، سواء من حيث التحدث بها أو الكتابة[2].

فإجادة اللغة من الأهمية بمكان، خاصة في المنطقة التي يعملون بها، علمًا بأن التوسع الكبير في مساحة الدولة الإسلامية قد أوجب حتى على القادة الميدانيين في كل منطقة إجادة لغة العدو فيها، فقد عُرف عن قتيبة بن مسلم ت٩٦هـ أنه كان يجيد الباذغيسية وهي إحدى اللهجات التركية[3].

وهذه الصفة عُني بها النبي ﷺ وسار خلفه واهتدى بهديه الخلفاء من بعده، فقد أمر ﷺ زيد بن ثابت الأنصاري بتعلم لغة اليهود، وفي هذا يقول زيد: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود السريانية، ثم يقول زيد: فوالله ما مرّ بي نصف شهر حتى تعلمته وجُدْتُ فيه، فكنت أكتب له إليهم، وأقرأ له كتبهم إليه[4]، فعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كلمات من كتاب يهود، وقال في رواية أخرى، أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية، وفي رواية: «فتعلمتها في سبعة عشر يومًا»[5].

---

(١) ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ ٥ / ١١١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١ / ١٢٤.

(٣) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٧ / ٢٢٨.

(٤) أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ حديث رقم ٣٦٤٥، جـ٣ / ٣١٨.

(٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة الريان عن طبعة المكتبة السلفية- القاهرة، بدون تاريخ، باب ترجمة الحكام ١٣ / ١٨٥.

وإذا لم يكن للجاسوس إلمام بلغة العدو، فلن يحالفه التوفيق في النهوض بواجباته إلا بقدر محدود، فعليه ألاّ يدخر جهداً ولا وقتًا في تعلم لغة العدو، وأن تمتد معرفته إلى اللغة واللهجة العامية ومصطلحاتها[1] .

٧- جودة التقليد ومهارة التخفي: من الضروري أن يتصف الجاسوس أو العين بالقدرة على التقليد والتمثيل ومهارة التخفي، بحيث يأخذ ما يريده دون أن يراه أحد، وهو مضطر أن يلبس حالات مختلفة وانفعالات معينة مصاحبة لهذه الحالات، وعليه أن يتصف بكل حالة بما يتلاءم معها من انفعالات أو عواطف، الأمر الذي يحتم أن يكون عنده القدرة على التخفي والتمثيل.

فالعين لا يحتاج فقط لوسيلة اختفاء متجددة، بل يحتاج إلى مهارة ليلعب دور الشخصية التي يختارها لاختفائه، فمن الضروري أن يكون سريع التحول من حال إلى حال قادرًا على أن يواجه في ثبات واتزان أخطر المواقف وأعقدها[2] .

لقد امتازت العيون والجواسيس العرب بإجادة التشبه بالعدو، حتى في الملبس والتصرف، بحيث لا يجلب انتباه العدو[3] .

٨- القدرة على المفاوضة والإقناع: يجب أن تتوافر في الجاسوس القدرة على الإقناع، واختيار العبارات التي تحتمل التأويل، والتفسيرات المختلفة، وذلك لعدم إلزام الطرف العربي المسلم، بما قد يؤذيه مستقبلاً في الوقت الذي يعتقد فيه الخصم أنه حصل على ما يريد[4] ، ولكي يكون لديه القدرة على الإقناع، فإنه لابد أن يكون ذا ذاكرة تعي الأرقام وتختزن الحقائق والمعلومات، فالقدرة على الملاحظة ضرورية للجاسوس من أجل الإقناع، كما أن الدقة في حفظ الضروري من المعلومات في الذاكرة له أهمية عظمية، فلكي يأخذ الجاسوس

---

(١) محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية ص ٩٧ .

(٢) أحمد هاني، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٧٦ .

(٣) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ٥٠ ، ٥١ .

(٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، ١٣٥٨هـ ، ٢ / ٢٨٦ .

المعلومات، فإنه يسمع أولاً، ثم يحفظ، ثم يؤديها لفظًا بإرسالها لمصدرها، أو أن يدونها، وهذا كله يتطلب مرانًا ذهنيًا ممتازًا[١] .

وقد توفر هذا في العين الذي أرسله الخليفة معاوية إلى بطريق القسطنطينية حيث استوعب تنفيذ الخطة أكثر من عامين، حتى استطاع العين أسر هذا البطريق والمجيء به إلى دمشق، فقد احتاجت هذه ا لعملية قدرة فائقة في المفاوضات والإقناع والرؤية[٢] .

٩- اختيار العيون والجواسيس من غير المعروفين: يجب اختيار العيون من الأشخاص غير المعروفين على نطاق واسع في معظمهم، فالشخص المعروف قد يكون سببًا في إثارة الريبة والشك. مثل ما حدث مع المهلب بن أبي صفرة[٣] عندما كلفه مسلم بن زياد[٤] قائد الجيوش لفتح بخارى، ووجه له الأمر بأن يذهب إلى معسكر ملك السغد[٥] ليرى ما مقداره وإعداد تقارير سرية تخدم الإسلام والمسلمين، فأجاب المهلب بن أبي صفرة قائلاً: لا يوفد مثلي في هذه المهمة، أنا رجل مشهور، فأرسل شخصًا إذا عاد سالمًا يخبرك الخبر اليقين، وإذا هلك لا تظهر الهزيمة في جيشك[٦] . وقد حدث ذلك في عهد عبدالملك بن مروان.

---

(١) محمد راكان الدغمي، التجسس ص ٩٣ .

(٢) شهاب الدين النويري: نهاية الأرب ٦ / ٨٥ .

(٣) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أمير خراسان، صاحب الحروب والفتوح، أمير عبدالملك بن مروان على خراسان، وكان مولده عام الفتح، ولأبيه صحبة، وأبو ضفرة هو ظالم بن سراق، من أزد العقيل أزددبا، ودبا بين عمان والبصرة، وقد توفى عام ٨٢هـ.
انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، طبعة دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩هـ جـ١ / ٩٠ - ٩١

(٤) هو مسلم بن زياد بن أبيه، أمير خراسان، ومسلم هذا هو الذي جاء إلى خراسان ومن هناك كوّن جيشًا ووصل إلى بخارى. انظر: محمد بن جعفر النرشخي: تاريخ بخارى، طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٦٩ .

(٥) السُغد أو الصُغد: ناحية كثيرة الأشجار والمياه، بين بخارى وسمرقند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، طبعة دار الفكر- بيروت بدون تاريخ ٣/ ٢٢٢ .

(٦) محمد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، تحقيق أمين عبدالمجيد ونصر الله الطرازي، طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٩٣، ص ٧٠ .

١٠- كفاءة عالية في تمثيل الأدوار المطلوبة: على العيون والجواسيس أن يكونوا ذات كفاءة في تمثيل الأدوار المطلوبة منهم، مثل الاندساس ضمن قوافل المنهزمين من السكان، واللاجئين إلى المدن، هربًا من تقدم القوات، حيث الظروف أكثر أمنًا لدخول مدن العدو مع أسلحتهم، أو أحيانًا يكون التمثيل من خلال إجادة أدوار الصالحين، أو الفقراء الذين يستَجْدُون[١] .

هكذا كانت العيون والجواسيس عند الخليفة هشام بن عبدالملك «فقد صاروا أعقابًا يتعاقبون ، ينهض قوم بأخبار ما بلوا في المصر الذي كانوا فيه، ويقبل آخرون يدخلون مشرقين، ويخرجون متفرقين، لا يُعْلَم منهم واحد، ولا يرى لهم عابر»[٢] .

وهذا هو الحجاج بن يوسف الثقفي ت ٩٥هـ والي العراق في زمن الخليفة عبدالملك بن مروان ت ٧٥هـ، اهتم الحجاج بالرقابة على القادة والعسكر، فقد كان يبعث العيون من جهته نحو القائد المهلب بن أبي صفرة ليأتيه بأخباره، وسير حروبه مع الخوارج[٣] .

إن استخدام مثل هذه العيون دون أن يكشفها أحد في مراقبة العدو، ومراقبة القادة والعسكر لمن الحكمة والدقة بمكان، وإنها لكفاءة عالية وأداء جيد.

١١- ممارسة مهن شعبية للاندماج وسط الناس: تمارس العيون والجواسيس بعض المهن الشعبية، من أجل أن يكونوا في تماس مع الناس، أو من أجل أن يطلعوا على اتجاهاتهم وميولهم، أو من أجل التعبير عن سياسة معينة، في مساعدة السلطات المسئولة[٤] .

فقد قام عبد الله بن قيس الجاسي كعين من عيون القائد معاوية بن أبي سفيان أثناء فتح قبرص بانتحال شخصية تاجر في الميناء من أجل التخفي

---

(١) الدِّينوري أحمد بن داود، الأخبار الطوال ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
(٢) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة ٢ / ١٠٨ .
(٣) الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٣٠١ .
(٤) أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، طبعة القاهرة ١٩٥٩هـ - ٤ / ٩٤ .

والتستر، فقد كان في شواطئ قبرص[1] جاسوسة تعمل لصالح الروم، وتنتحل شخصية متسولة على شواطئ قبرص، حيث عرفت عبدالله بن قيس الذي خرج طليعة للمسلمين، فسألته الصدقة فأعطاها، فرجعت ودلت عليه، وقالت: إن عبد الله بن قيس في الميناء، ولم تكن تعرفه، ولما قيل لها: بأي شيء عرفتيه؟ قالت: كان كالتاجر، فلما سألته أعطاني كالملك فعرفته بهذا[2].

وحين صارت الخلافة بيد الوليد بن عبد الملك اعتنى بأمر العيون والجواسيس، وكان الخليفة وولاته وقادته يدسون العيون بين صفوف العدو متنكرين دون أن يعرفهم أحد من أجل استيفاء المعلومات عن العدو، وهذا ما كان يقوم بعمله القائد قتيبة بن مسلم وسواه من القادة[3].

١٢- المعرفة الجيدة بتضاريس المنطقة التي يعمل بها: يجب على العيون والجواسيس أن يكونوا على اطلاع تام على تضاريس المنطقة التي يعملون بها، وكذلك الحال بالنسبة للمناخ[4].

في ذلك غناء لهم عن السؤال عن البلد أو المنطقة وعن أهلها، فربما كان في سؤاله تنبه له وتيقظ لأمره، فيكون ذلك سببًا في هلاكه، بل ربما وقع في العقوبة، وسئل عن حال بلده فدل عليه وكان عينًا عليه لا له[5].

***

(١) قبرص وقيل: قبرس: وهي جزيرة في بحر الروم - البحر المتوسط - في الإقليم الرابع. انظر: ياقوت الحموي - معجم البلدان ٤/ ٣٠٥.

(٢) محمود شلبي، اشتراكية عثمان ﷺ، الطبعة الثانية - دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م ص ١٦٤.

(٣) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٣، وابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٤ / ١٦٠. والبلاذري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد. النهضة المصرية - القاهرة بدون تاريخ، ٣ / ٥٣٥.

(٤) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١١٧.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى ١ / ١٢٤.

المبحث الثالث

أنواع العيون والجواسيس

شهد العصر الأموي أنواعًا عديدة من العيون والجواسيس، منها ما هو معروف، ومنها ما ظلت مجهولة، من بين هذه العيون، عيون عربية، وعيون من غير العرب، عيون مسلمة، وأخرى غير مسلمة كالنصارى والمجوس والمشركين، فضلاً عن عيون تعمل في خدمة الأسطول الإسلامي، حيث إن الانتصارات التي تمت خلال العصر الأموي للأسطول الإسلامي سواء في محاصرة المدن الكبرى كالقسطنطينية، أو تحرير معظم جزر البحر المتوسط، لم تكن لتتحقق من غير استطلاع واستخدام للعيون والجواسيس ورصد لمعلومات مؤكدة عن إمكانيات العدو، والمخاطر المحتملة، التي يمكن أن تتعرض لها الحملات البحرية، فقد أشير إلى أنه كان هناك سفينة مخصصة من قطع الأسطول الإسلامي في العصر الأموي، تسمى الجاسوس، وكانت تبنى في مصر، منذ عام (٩١هـ / ٧٠٩م) حيث تستخدم للنقل السريع والأخبار[١].

أولاً: العيون والجواسيس المسلمة:

أ -عيون عربية مسلمة: هذه العيون تم استخدامها في نقل الأخبار ورصد المعلومات المؤكدة، وإدارة المفاوضات لصالح الولاة والأمراء والقادة.

من بين العيون: شمر بن جعونة[٢]، وهو من قبيلة كلاب، استطاع القيام

---

(١) فيلهلم هونيرباخ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية، طبعة تطوان، دار الطباعة المغربية ١٩٥٤م، ص ١٦، وأنيس صائغ، الأسطول الحربي الأموي، طبعة بيروت ١٩٥٦م ص٥٢ - ٥٣، وعلي محمود فهمي، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط في القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبده قاسم، طبعة بيروت بدون تاريخ ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) هو شمر بن جَعْوَنة الكلابي من قبيلة كلاب. انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ١٨١.

بنقل أخبار إلى المغيرة بن شعبة[1] عن الخوارج في الكوفة[2] .

وعمارة بن عقبة[3] ، وهو من قريش، استطاع أن ينقل أخباراً إلى يزيد بن معاوية ت ٦٤هـ عن التنظيم العلوي في الكوفة[4]، كما نقل أخباراً إلى زياد بن أبيه[5] عن التنظيم العلوي في الكوفة[6] .

والغضبان بن القبعثري[7] ، من قبيلة شيبان ، وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي إلى بلاد كرمان[8] ليأتيه بخبر ابن الأشعث[9] عن خلعه[10] .

ولأُيّ بن شقيق بن ثور السدوسي الذي نقل الأخبار عن ابن الأشعث لصالح الحجاج الثقفي، عندما خلع ابن الأشعث بسجستان وأقبل يريد الحجاج بالعراق، فقدم لأي بن شقيق السدوسي على الحجاج فأخبره، فحمله من ساعته

---

(١) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، ولي العراق لعمر بن الخطاب وغيره، ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم الكوفة. انظر ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ١ / ٥٦

(٢) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ١٨١ .

(٣) عمارة بن عقبة بن أبي مُعيط، أسلم يوم الفتح، مات بالبصرة. انظر: ابن قتيبة محمد بن عبدالله بن مسلم ت ٢١٣هـ، المعارف، الطبعة الرابعة - دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م ص ٣٢٠، ٥٩٣ .

(٤) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٣٥٦ .

(٥) هو زياد بن أبيه، استلحقه معاوية بن أبي سفيان، وزعم أنه ولد أبي سفيان، وقد جمع له معاوية إمرة العراقين، مات سنة ٥٣هـ. انظر: خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ - كتاب الطبقات، الطبقة الثانية- دار طيبة - الرياض ١٩٨٢م . ص ١٩١ . والحافظ الذهبي: العبر ١ / ٤١ .

(٦) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٢٣٦ .

(٧) هو الغضبان بن القَبَعْثَرى، من علماء العرب، جالس الحجاج وحادثه. انظر: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. طبعة دار الفكر- سورية ١٩٨٦م ٢٠ / ٢٠١ .

(٨) كرمان: ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤ / ٤٥٤ .

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، قُتل بسجستان في عام ٨٤هـ . الحافظ الذهبي، العبر ١ / ٧١ .

(١٠) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، شرح وتقديم مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦، ٣ / ١٧٩، ومحمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، طبعة بغداد بدون تاريخ ١ / ٤٨ - ٤٩ .

إلى الخليفة عبدالملك بن مروان، فردّه عبد الملك إلى الحجاج يأمره بالتشمير والجد حتى تأتيه الجنود[1] .

وضرار بن سنان[2] ، من ضبة، قد نقل أخباراً إلى قتيبة بن مسلم عن وكيع التميمي[3] ، وكذلك إبراهيم بن عاصم العقيلي، نقل أخباراً لسعيد الحرشي عامل أرمينية[4] وأذربيجان[5] عن الخزر[6] .

وثُبَيْت البهراني، قد استطلع لصالح الحرشي ضد الخزر، قال: قدم علينا الحرشي برذعة [7] على دواب البريد، فسرنا معهم إلى «البيلقان» ومضوا نحو «أذربيجان» وأقبل عسكر للخزر معهم عَجَلٌ كثير عليها سبايا المسلمين والغنائم من أهل «أردبيل»، قال ثبيت البهراني: فوجهني الحرشي طليعة فأتيت العسكر وهم نيام فانصرفت فأخبرته فحضض أصحابه وصار إليهم[8] .

وسليمان بن سراقة البادقي الذي نقل أخباراً عن حركة زيد بن علي[9] في الكوفة لصالح يوسف الثقفي، حيث عندما أمر زيد بن عليّ أصحابه بالتأهب

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، طبعة دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية ١٩٨٥م ، ص ٢٨١ .

(٢) هو ضرار بن سنان الضبي، دسّه قتيبة بن مسلم عندما كان عاملاً للحجاج الثقفي على خراسان على وكيع بن أبي سُود التيميمي، ابن قتيبة: المعارف ص ٤٠٧، والطبري: تاريخ الطبري ٦ / ٥١٣ .

(٣) هو وكيع بن أبي سُود التميمي الأعرابي، مقدام لا يبالي ما ركب، ولا ينظر في عاقبته، وله عشيرة كبيرة تطيعه. انظر: الطبري: تاريخ الطبري ٦ / ٥١٢ .

(٤) أرمينية: اسم لصقع عظيم في جهة الشمال، ولم ير بلداً أوسع منها ولا أكثر عمارة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ١٦٠ ، ١٦١ .

(٥) أذربيجان: تقع في الإقليم الخامس، وهي إقليم واسع، يتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ١٢٨ .

(٦) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٧ / ٢٦٩ ، / ٥٠ - ٥١ .

(٧) بَرْذَعة: بلد في أقصى أذربيجان. ياقوت الحموي. معجم البلدان ١ / ٣٧٩ وما بعدها.

(٨) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٩) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ فبعث إليه يوسف بن عمر الثقفي العباس المري، فرماه رجل بسهم فقتله. ابن قتيبة: المعارف ص ٢١٦ .

للخروج والاستعداد لمحاربة يوسف بن عمر الثقفي، فالوقت الذي كان فيه سليمان بن سراقة البارقي يعمل عينًا ليوسف بن عمر الثقفي، فأخبر سليمان بن سراقة يوسف الثقفي بهذا الخبر فتجهز له.

وكذلك حريث بن أبي الجهم، قد نقل أخبارًا عن حركة زيد بن عليّ في الكوفة لصالح يوسف بن عمر الثقفي، لأنه كان عينًا له على حركة زيد بن علي[1].

وشميل بن عبد الرحمن المازني، في عام ١٠٦هـ أثناء غزو مسلم بن سعيد[2] الترك، وعندما صار بفرغانة[3] بلغه أن خاقان الترك قد أقبل إليه، فأتاه شميل بن عبدالرحمن المازني، وكان عينًا له في عسكر الترك، فقال: عاينت عسكر خاقان في موضع كذا وكذا، فأرسل إلى عبدالله بن أبي عبد الله الكرماني مولى بني سليم فأمره بالاستعداد للمسير[4].

والأشهب بن عبيد، الذي نقل الأخبار للجنيد المرّي[5] في معركة الشِّعب، عندما خرج الجنيد المرّي ومعه الناس وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسي وزياد بن خيران الطائي، فسرح الجنيد الأشهب بن عبيد الحنظلي ومعه عشرة من طلائع الجند كعيون له، وقال للأشهب: كلما مضيت مرحلة فسرِّح إليّ رجلاً يعلمني الخبر[6].

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ٧ / ١٨٠ - ١٨١، وابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ١١٤ - ١١٦، وعلي بن الحسين الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، طبعة النجف الأشرف ١٣٥٣هـ ص ٩٨- ٩٩، ١١٢.

(٢) هو مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، تولى خراسان سنة ١٠٤هـ، وغزا فرغانة، وقتله جماعة من المشركين. انظر: خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ص ٣٣٣، ٣٣٦.

(٣) فرغانة: مدينة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤ / ٢٥٣.

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٣٢ - ٣٣.

(٥) هو الجنيد بن عبد الرحمن المري، ولاه هشام بن عبد الملك مرة غطفان، وقد غزا طخارستان في عام ١١٣هـ، وولاه هشام بن عبدالملك أمر خراسان سنة ١١٣هـ، ثم عزله سنة ١١٥هـ. انظر: خليفة ابن خياط: تاريخ خليفة ص ٣٤٢ - ٣٤٥، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٦) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٨٢ - ٨٣.

ومن المعروف أن استخدام الرسل بين الدولة الأموية والدول الأخرى الهدف منها في الغالب هو افتداء الأسرى أو إدارة المفاوضات من أجل الوصول إلى هدنة، أو لأغراض أخرى كنشر الإسلام، وليس كما يقول الأعداء أن الإسلام انتشر بالسيف، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يفرض بالقوة، بل أقبل الناس عليه بإرادتهم واختيارهم[1] . وقد شهد العصر الأموي العديد من إرسال الرسل أو السفارات المسلمة إلى القسطنطينية، فقد كتب الخليفة عمر ابن عبد العزيز إلى الأسارى بالقسطنطينية أما بعد: فإنكم تعدون أنفسكم أسارى، معاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئًا بين رعيتي إلا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه، وإني قد بعثت إليك بخمسة دنانير، خمسة دنانير، ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم، وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم، وذكركم وأنثاكم، وحركم ومملوككم بما سئل به، فأبشروا ثم أبشروا، والسلام عليكم[2].
وإلى الصين وذلك كالوفد الذي أرسله قتيبة بن مسلم إلى ملك الصين عندما قرب قتيبة من الصين، حيث كتب إليه ملك الصين: أن ابعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم، فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس. . . »[3].

ومن المعروف أيضًا أن القيادة الأموية كانت تختار رسلها وسفراءها بعناية وقدرة وكفاءة عالية، سواء في القدرة والحكمة والسياسة والكياسة وقوة الشخصية وجمال الهيئة[4] وتوفير المعلومات لهم عن تلك الأماكن التي يسافرون إليها، وعن الذين سوف يتفاوضون معهم[5] .

---

(1) Lane Poole (Stanly) : Studies in a Mosque. (London. 1893. p. 86).

(٢) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٠، والمبرد، الكامل ٢ / ١١٢، والمسعودي، مروج الذهب ٣ / ١١٧ .

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ ٦ / ٥٠١، ٥٠٢ .

(٤) محمد جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠١، والمسعودي، مروج الذهب ١ / ٣٦٣ .

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥ / ١٧٨ .

لقد تم خلال عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك في عام ١٠٢هـ / ٧٢٠م ، سفارة مكونة من رجلين هما: مجاهد بن يزيد، وخالد البريدي، وقد وصفا طريقة حماية السكان المدنيين من قِبل البيزنطيين أثناء دخول القوات الإسلامية إلى داخل الأراضي البيزنطية، وذلك من خلال ملاجئ تحت الأرض تسمى «المطامير». كما نشير إلى التقاء إحدى السفارات، ربما بطريقة معتمدة من قبل السلطات البيزنطية بأحد الأسرى العرب المرتدين عن الإسلام[١] .

وعندما علم البيزنطيون بالمهام التجسسية للرسل التي تصل بلادهم، فقد كانوا يسمحون لهم بالإقامة الطويلة، وقد صنعوا ذلك للحيلولة دون اطلاع هذه الجواسيس على أي أسرار[٢] .

ب- عيون من الموالي مسلمة: هذه العيون تم استخدامها في نقل الأخبار، واختراق التنظيمات المعادية للدولة، ومراقبة القادة وأدائهم خاصة في المغرب والأندلس، واستخدامهم في أمور التفاوض لصالح المسلمين، واستخدامهم في مراقبة المرشحين لتولي أحد المناصب، واستخدامهم أيضًا في نقل رسالة تحذير إلى أحد القادة الترك.

من بين هذه العيون: أيوب بن حُمْران، وكان عينًا لعبيد الله بن زياد قائد جيوش الخليفة يزيد بن معاوية، أرسله إلى الشام ليأتيه يخبر يزيد بن معاوية فركب عبيد الله بن زياد ذات يوم حتى إذا كان في «رحبة القصّابين» إذا هو بأيوب بن حُمْران قد قدم من الشام، فلحقه فأسرّ إليه موت يزيد بن معاوية[٣].

ومعقل مولى عبيد الله بن زياد الذي اخترق التنظيم العلوي في الكوفة، حيث دعاه ابن زياد فقال له: خُذ ثلاثة آلاف درهم، ثم اطلب مسلم بن عقيل، واطلب لنا أصحابه، ثم اعطهم هذه الثلاثة آلاف، فقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك، ووثقوا بك

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٦ / ١١٧ - ١١٨ .
(٢) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ١١٧ ، وابن خلكان، وفيات الأعيان ٣ / ١١٣ .
(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٥٠٦ .

ولم يكتموك شيئًا من أخبارهم، ثم اغْدُ عليهم ورُحْ، ففعل ذلك[1]. وصار معقل عينًا من عيون عبيد الله بن زياد ت٦٧هـ، واستطاع أن يخترق التنظيم العلوي في الكوفة، ويمد عبيدالله بكل المعلومات التي قد توصل إليها.

ومغيث الرومي الذي كان غُلامًا للوليد عبد الملك ت٩٦هـ، وكان عينًا له على القادة وأدائهم في المغرب والأندلس، فعندما أخذ موسى بن نصير ت٩٧هـ طارق بن عمرو فشده وثاقًا وحبسه، وهمَّ بقتله فبعث طارق إلى مغيث الرومي وقال له: إنك إن رفعت أمري إلى الوليد وأن فتح الأندلس كان على يدي، وأن موسى حبسني يريد قتلي أعطيتك مائة عبد، وعاهده على ذلك، فلما أراد مغيث الرومي الانصراف ودَّع موسى بن نصير، وقال له: لا تعجل على طارق ولك أعداء، وقد بلغ أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك أمرهُ وأخاف عليك وجْدَه، فانصرف مغيث وموسى بالأندلس، فلما قدم مغيث على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق، وبحبس موسى إياه، والذي أراده به من القتل، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله، لئن ضربته لأضربنك، ولئن قتلته لأقتلن ولدك به، ووجه الكتاب مع مغيث الرومي، فقدم به على موسى بالأندلس، فلما قرأه أطلق طارقًا، وخلى سبيله، ووفّى طارق لمغيث بالمائة عبد الذي كان قد وعده بها[2].

وسليم بن عبد الله الناصح، وكان عينًا لقتيبة بن مسلم ت٩٦هـ، فبعد أن فتح قتيبة ابن مسلم بخارى عام (٩٠هـ) وهزم جموع العدو، هابه أهل السُّغْد، وأراد طَرْخون ملك السُّغد الصلح مع قتيبة، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وصالحه، وكان قتيبة قد صالح من قبل في عام ٨٧هـ نيزك طرخان ملك «باذغيس»[3]

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٢ / ٨٠، والدينوري، الأخبار الطوال ص ٢٣٩، ومحمد بن جرير الطبري تاريخ الطبري ٥ / ٣٤٨ - ٣٦٢.

(٢) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب، تحقيق شارلز تورّى، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢١٠.

(٣) باذغيس: ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ٣١٨.

وأرسل نيزك هذا ما عنده من أسرى المسلمين إلى قتيبة، وفي عام ٩٠هـ غدر نيزك طرخان ونقض الصلح مع قتيبة وعزم على حربه متحدًا مع ملك «الطالقان»[١] بخراسان فهزمهم قتيبة بن مسلم، وهرب نيزك طرخان إلى «كابل شاه»[٢] ثم مضى حتى نزل «الكرْز»[٣] فعلم قتيبة بخبره، ودعا قتيبة سليم بن عبدالله الناصح وأخبره بأن ينطلق إلى نيزك طرخان في «الكرْز»، وأن يحتال عليه بشتى وسائل الاحتيال حتى يأتيه به، فاحتال سليم الناصح على نيزك طرخان، وأدار تفاوضًا بينه وبين نيزك لصالح قتيبة، حتى استطاع إقناع نيزك بالذهاب والحضور أمام قتيبة للتفاوض والصفح حتى تمّ قتله[٤] .

فاستطاع سليم بن عبد الله الناصح أن يكون عينًا للقائد قتيبة بن مسلم، وأن يكون مفاوضًا ومحاورًا، وكانت لديه القدرة على الإقناع للخصم، وقدرة على الدهاء وحُسْن التصرف، والقدرة على اختيار الكلمات التي يتحاور بها، ويُقنع بها خصمه.

وحسَّان بن حيَّان، وكان عينًا للخليفة هشام بن عبد الملك ت١٢٥هـ، فكان يُراقب عمال الخليفة، فقد راقب خالد القسري[٥] عامل العراق والمشرق، وذلك لحساب الخليفة[٦] .

وسعيد الصغير، وكان فارسًا مولى باهلة، وكان عالمًا بأرض «الختّل»[٧] ،

---

(١) الطالقان: بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ، وبلخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٦ .

(٢) كابل شاة: ثغر من ثغور طخارستان وهي ذات مروج بين الهند وغزنة. ياقوت الحموي. معجم البلدان ٤/ ٤٢٦ .

(٣) الكرز: هي بلدة في الجبل قرب الطالقان، قرية من قرى مرو الروذ. ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤ / ٤٥٠ .

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٥) هو خالد بن عبد الله القسري الأمير الدمشقي كان أميرًا للعراق في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك وكان جوادًا ممدوحًا خطيبًا مفوهًا، مات سنة ١٢٦هـ ، انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ١ / ١٦٩ - ١٧١ .

(٦) أخرجه ابن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، طبعة بيروت دار صادر ١٩٦٠ ٢ / ٢٢٣ .

(٧) الختل: كورة واسعة كثيرة المدن، على نهر جيحون من وراء النهر. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ / ٣٤٦ .

وقد دعاه أسد بن عبد الله إلى نقل رسالة تحذير إلى أحد القادة يحذره فيها من الترك[1] ، فما كان أسد بن عبد الله وهو قائد للمسلمين على خراسان أن يستخدم سعيد الصغير في مثل هذه المهمة الفدائية، إلا وهو متأكد من أنه عين واعية، وأنه على قدر المسئولية.

جـ- عيون من الفرس مسلمة: هذه العيون تم استخدامها في نقل الأخبار والاستطلاع على العدو، وتدبير الأمن والأمان، والعمل على خدمة الإسلام والمسلمين، من بين هذه العيون:

ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها وهو فارسي كان عينًا لعروة بن المغيرة بن شعبة[2]، حيث أرسل ماذرواسب كتابًا سنة ٧٦هـ إلى عروة أن تاجرًا من تجار الأنبار[3] من أهل بلادي أتاني فذكر لي أن شبيبًا بن يزيد الخارجي[4] يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل، أحببت إعلامك ذلك لترى رأيك، كما كتب «ماذرواسب» إلى الحجاج في سنة ٧٧هـ كتابًا بسبب نزول واتجاه شبيب بن يزيد الخارجي نحو المدائن، حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فقال: أما بعد: «فإني أخبر الأمير أصلحه الله أن شبيبًا قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة، ولا أدري أين يريد»، فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله، وأثنى عليه، ثم دعاهم للقتال[5] .

وبردك البيلقاني الفارسي كان عينًا لسعيد الحرشي وهو يتولى أمر خراسان، فقد نقل له أخبارًا عن الخزر[6] .

---

(١) محمد جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١١٧ .

(٢) هو عروة بن المغيرة بن شعبة، ويكنى أبا يعقوب، وكان أمير الكوفة. انظر: ابن قتيبة- المعارف ص ٢٩٥ .

(٣) الأنبار: مدينة قرب بلخ، وهي قصبة ناحية جوزجان وبالقرب من مرو الروذ، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ٢٥٧ .

(٤) هو شبيب بن يزيد بن نُعيم من بني شيبان، ويُكنى أبا الصحارى. انظر: ابن قتيبة، المعارف ص ٤١٠ .

(٥) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٠ .

(٦) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ٤٧ .

ومردان شاه الفارسي، قال ابن أعثم الكوفي: كان من عيون الاستطلاع التي تأتي بالأخبار ضد الخزر[1].

ثانيًا: العيون والجواسيس غير المسلمة:

أ- عيون تركية مشركة: هذه العيون رغم أنها عيون غير عربية وغير مسلمة، إلا أن القادة المسلمين استخدموهم في جمع المعلومات والأخبار التي تفيد القادة والجيوش الإسلامية، وتخدم الإسلام والمسلمين، واستخدموهم في إدارة المفاوضات مع طرخون ملك الصغد لمصلحة القائد المسلم قتيبة بن مسلم، من بين هذه العيون:

النيلان ابن عم ملك فرغانة، ففي سنة ١٠٤هـ، قام بجمع معلومات تفيد القائد قتيبة بن مسلم ضد أهل السغد «بخُجنَدة»[2]، فخرج النيلان إلى الحرشي سعيد بن عمر، وأخبره بخبر أهل السغد وهم بخجندة وقال: عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشِّعب، فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل، فوجّه سعيد بن عمر الحرشي مع النيلان، عبد الرحمن القشيري وزياد بن عبدالرحمن القشيري في جماعة[3].

وكارتقبد[4]، وهوعين من الترك، كان يعمل لصالح القائد سَوْدَة بن الحرّ التميمي في سنة ١١٢هـ، وقد دلَّهُ على طريق يسلكه حتى لا يقع هو وجيوشه في قبضة الترك، فعندما أمر سورَةُ بالرحيل من سمرقند واستخلف عليها موسى ابن أسود، وخرج في اثني عشر ألفًا، فأصبح على رأس جبل، وقد دلَّهُ على ذلك الطريق «كارتقبد»[5].

---

(١) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ٣٩.

(٢) خنجدة: بلدة مشهورة بما وراء النهر، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢ / ٣٤٧.

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٧.

(٤) كارتقبد: تركي مشرك يعمل كعين لخدمة القائد المسلم سَوْرة بن الحرالتميمي. الطبري: تاريخ الطبري ٧ / ٧٦.

(٥) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٧٦.

وتنذر[1] ، وكان عيناً لقتيبة بن مسلم، وهو تركي، ففي عام ٨٧هـ غزا قتيبة «بِيْكَنْد» [2] وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، يُقال لها مدينة التجار، على رأس المفازة من بخارى، ولكن أهل بخارى قد أعطوا «تنذر» مالاً على أن يفتأ عنهم قتيبة، فأتاه، فقال: أخْلني، فنهض الناس، واحتبس قتيبة ضرار بن حصن الضبّي، فقال تنذر: هذا عامل يقدم عليك»[3] .

ب- عيون بيزنطية نصرانية: هذه العيون البيزنطية تمّ استخدامها لصالح الإسلام والمسلمين، مثل ما تم - نتيجة امتزاج الحضارة العربية بالحضارات الأخرى- اتخاذ الخدم والجواري الذين يقومون على أمر البيوت في نظامها وإدارتها، وكان من بين السبي نصارى[4] ، فمن بقي من أهل الذمة على دينه فقد عاملهم العرب بتسامح عظيم، باعتبارهم أهل كتاب[5] . من بين هذه العيون: يليان العجمي صاحب سبتة، استطاع طارق بن زياد أن يحصل منه على أخبار ومعلومات واستخدمه كعين تخدم الجيش الإسلامي[6] .

***

(١) تنذر: تركي مشرك، نقل أخباراً إلى قتيبة بن مسلم، وقام بمفاوضات مع ملك الصعد لصالح قتيبة . الطبري: تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٠ .

(٢) بيكند: بلدة بين بخارى وجيحون، على مقربة من بخارى. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ٥٣٣ .

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٠ .

(4) Muir (William Temple): Its Rise, Decline and Fall (London 1924) . p. 19.

(5) Shedd (W. Ambrose). Islame and the Oriental Churches, (Philadelphio 1904. p. 97) .

(٦) ابن عبد الحكم المصري، فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٥ - ٢١٠ .

المبحث الرابع
تطور أساليب العمل الأمني للعيون والجواسيس في العصر الأموي

اهتم الخلفاء الأمويون في إدارة دولتهم بأمر العيون والجواسيس، وعملوا على تطور هذا النظام في عهدهم، وشهد ظهور أساليب مبتكرة في العمل، وأخذت بما يتلاءم ودولة عالمية، حكمت شعوبًا ذات أصول قومية، ولغوية وعقدية مختلفة، وواجهت تحديات عديدة، نجحت في اجتياز معظمها بتفوق، أمام أعداء لم يكن كثير منهم بأقل منها في حجم إمكانياته وخلفياته الحضارية، مما لا يدع مجالاً للشك أن الدول غير المسلمة مدينة لأعمال وجهود العلماء المسلمين، باعتبار أن هؤلاء المسلمين لهم السبق في كثير من مجالات العلم والفلسفة، ولأنهم كانوا حملة المشاعل على طريق المعرفة التي أضاءت لأوروبا طريقها نحو النهضة والتقدم[1] .

إن اهتمام الأمويين بتطور أساليب العمل الأمني للعيون والجواسيس بشكل ناجح وفعّال، يتطلب عدم التغاضي عن أبسط المعلومات التي يتم الحصول عليها، حيث يجب الأخذ بنظر الاعتبار أسوأ الاحتمالات وليس أحسنها.

يتمثل هذا التطور في عدة أمور:

١- الالتزام بمبدأ السّرية التامة في التعامل مع المعلومات والحفاظ على الأسرار التي هي من أهم قواعد العمل للعيون والجواسيس. فقد عنّف زياد - وهو والي الكوفة سنة ٥٠هـ - كلاً من عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حُريث[2] وهما يتحدثان بصوت عالٍ في أسرار تخص الدولة من الناحية العسكرية، وقصد من هذا التعنيف زجر الاثنين على أن الحديث في هذا الكلام

---

(5) Nicholson, Literary History of the Arabs Combridge. 1964, p. 359 .

(٢) هو عمرو بن حريث من بني مخزوم، وله عقب بالكوفة، ولاه المهدي طبرستان. انظر: ابن قتيبة: المعارف ص ٢٩٣ .

ليس هذا مكانه، بل يعتبر من الأسرار، ويجب التزام مبدأ السرية التامة والحفاظ على الأخبار والمعلومات. وسبب ذلك لما قدم زياد الكوفة أتاه عمارة بن عقبة ابن أبي معيط، فقال: إن عمرو بن الحَمق يجتمع إليه من شيعة أبي تراب، فقال له عمرو بن حريث: ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقّنه، ولا تدري ما عاقبته، فقال زياد: كلاكما لم يصب، أنت حيث تكلمني في هذا علانية، وعمرو حين يردّك عن كلام، قُومَا إلى عمرو بن الحَمق فقولا له: ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك، من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد؟[1]

أي التزام مبدأ السرية التامة في التعامل مع المعلومات والحفاظ على الأسرار أمر واجب، ولا يصح أن يُتكلم فيه علانية، وفي أي مكان، لأن تكتم الأخبار والسرية في التخطيط وحركة الجيوش من الشروط الأساسية للنصر، وهي أحد المظاهر الضرورية للقيام بأي عمل لصالح الإسلام والمسلمين، وفيه حماية لأسرار الدولة وعدم تسربها للأعداء.

ويذكر الأصفهاني السر وضرورة حفظه وأن إعلانه من غير ذوي الاختصاص يعتبر خيانة، فيقول: إن إذاعة السر وإعلانه من الخيانة، ومن الحزم الاحتياط وهو أخص بالملوك وأصحاب السياسات، وإذاعة السّر من قلة الصبر وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان[2].

إن حرص الأمويين على تطور أساليب العمل الأمني لم يأت من فراغ، بل من خلال تجارب سابقة، ووعي ناضج وأخذ عبر التاريخ في الاعتبار، فكتمان السرِّ قطع مكيدة من يكيدك، وقد قيل في ذلك: اكفف لسانك عن فلتة كل منطق ينكشف بها ما تضمر من أمرك أو تخفيه من سرك، واعلم أنه قد يستدل بلحن المنطق على مصون الستر ومكنون الضمير، ولا تستهن في إظهار سرّك بصغير لصغره، ولا بأعجمي لعجمته، فربّ سرّ مصون قد أذاعوه واطلعوا عليه

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٢٣٦.

(٢) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ، الذريعة إلى مكارم الشريعة، طبقة القاهرة ١٣٩٣هـ ص ١٥١.

وقد قيل: إن رأس التدبير ألاَّ يُظهر عدوك عوراتك، ولا تستتر عنك عوراته، ولن تحكم ذلك في نفسك إلا مع شدة الحذر، وكتمان السّر، ولن تعرفه من عدوك إلا مع التيقظ والتلطف وإذكاء العيون والجواسيس[1].

٢- لجوء القيادة الأموية إلى ترحيل بعض السكان المتعاطفين مع البيزنطيين، والمتعاونين معهم على مستوى الأخبار، وذلك على صعيد مقاومة التجسس المضاد، وتقليل فرص العدو في إيجاد مصادر للمعلومات، فمن أهم واجبات العيون والجواسيس في الدولة مقاومة جواسيس الأعداء باستخدام كافة الوسائل والإجراءات التي يتم بها حماية أسرار الدولة وعدم تسربها للخارج[2].

فترحيل بعض السكان المتعاطفين مع العدو والمتعاونين معه تطورٌ في أساليب العمل الأمني للقيادة الأموية، كما حدث في منطقة الثغور الشامية، وكما هو الحال مع سكان «سُوسَنَة»[3] في سنة ٩٢هـ عندما غزا مسلمة بن عبدالملك وعمر بن الوليد أرض الروم، ففُتح على يد مسلمة حصون ثلاثة، وطُرد أهل «سُوسَنَة» إلى داخل أرض الروم[4].

كما اضطرت الدولة الأموية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد ت١٢٦هـ، إلى إعطاء سكان «قبرص» الخيار بالرحيل إلى الشام، أو الأراضي البيزنطية، بسبب تعاطفهم مع البيزنطيين، وتعاونهم على مستوى الأخبار، عندما أمّر الخليفة الوليد بن يزيد على جيش البحر القائد الأسود بن بلال المحاربي، وأمره أن يسير إلى قبرص فيخيرهم بين المسير إلى الشام إن شاءوا، وإن شاءوا إلى الروم، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين، فنقلهم الأسود إلى الشام، واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها[5].

---

(١) الهرثمي، مختصر في سياسة الحروب ص ٢٢.

(٢) أحمد هاني، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ١٠٦.

(٣) سُوسَنَة: مدينة ناحية المصيصة التي هي من ثغور الشام، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٢٩.

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٦٨.

(٥) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٢٧٧.

٣- ومن تطور أساليب العمل الأمني في الدولة الأموية: أن القيادة الأموية لجأت إلى إيجاد مرافقين بمثابة عيون وجواسيس تستقبل الوفود البيزنطية هؤلاء المرافقون يكونون على درجة عالية وكفاءة جيدة في إجادة اللغة اليونانية دون أن يحس أعضاء الوفود بذلك[١] ، وذلك لردع أي محاولة للتجسس المضاد من جهة، ولمعرفة النوايا الحقيقية للوفد من جهة أخرى.

فقد اهتمت القيادة الأموية بتعلم لغة الغير ودراستها وإجادة الحديث بها، وكذلك الكتابة، لذلك حرص الأمويون على أن يكون من عيونهم من يجيدون التحدث والكتابة بلغة العدو، كضرورة حيوية في مجال تطور أساليب العمل الأمني للعيون والجواسيس، والمساعدة في عملية إدارة المفاوضات[٢] .

٤- كما حرصت القيادة الأموية على إقامة مراكز للمراقبة والرصد على قمم الجبال، وإقامة المسالح[٣] على الطرقات، وإيجاد قواعد للبريد بين كل قاعدة وقاعدة، وذلك حرصًا من القيادة الأموية أثناء تقدّم القوات في عمق أراضي العدو، ولمقاومة التجسس والتسلل، ولنقل الأخبار بسرعة إلى قيادة العمليات، وذلك في عام ٨٠هـ في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ت٧٥هـ[٤].

إضافة إلى ذلك اعتنى الخليفة الوليد بن عبد الملك بالطرق عامة، وبطرق البريد خاصة ، فهو أول من وضع الأميال بالطرقات وقام بتسهيلها[٥] ، فقد كانت كتب الحاج بن يوسف الثقفي ترد على القائد محمد بن القاسم بالسِّند،

---

(١) عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر، منشورات دار المسيرة - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م، ١ / ٢١١ .

(٢) عبدالله علي السلامة مناصرة، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، طبعة بيروت ١٩٩١م ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٣) المسالح: مقرات العيون ومهمتها جمع المعلومات وإرسال الإنذار، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١١٩ .

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٥) القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٨٠، ١ / ١٣٦ .

وكتب القائد محمد بن القاسم كانت ترد على الحجاج بواسط بوصف ما قبله، واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام[١] .

واهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز في إدارته بالطرق وتسهيلها، وبالبريد[٢]، فقد فرض لصاحب البريد من سهام المسلمين بقوله: «الرسول والبريد والوكيل يُبعثون من العسكر يُجرى لهم سهامهم مع المسلمين»[٣] .

٥- ومن تطور أساليب العمل الأمني في العصر الأموي، تعريب الدواوين من اليونانية إلى العربية في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان[٤] ، الغرض من ذلك عرض أمني وهو مقاومة التجسس المضاد، وتقليل فرص العدو في إيجاد مصادر للمعلومات عن إمكانيات الدولة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز بحسه الثاقب على إدراك تام ووعي ناضج لخطورة التجسس المضاد، حينما أوعز إلى أحد قادته بضرورة أن تكون عيونه من العرب، وممن يطمئن إلى أمانتهم من السكان المحليين[٥] .

نلاحظ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز يرغب في أن تكون عيونه وجواسيسه من العرب، فلعله يرى أن لكل مرحلة سياقاتها الخاصة بها، فما هو مطلوب في مرحلة ما، قد يكون مؤذيًا في مرحلة أخرى، لاسيما بعد اشتداد حدة الصراع مع العدو البيزنطي وتحول البيزنطيين من الدفاع إلى الهجوم[٦] .

٦- ومن تطور أساليب العمل الأمني أيضًا، لجوء القادة الأمويين إلى كل وسائل الخداع للحيلولة دون وصول أسرار الخطط إلى العدو، فقد عُرف عن

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ٣ / ٥٣٥ .

(٢) الحسيني، س.أ.ق، الإدارة العربية ترجمة إبراهيم العدوي، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٣٣٢، ٣٣٣ .

(٣) ابن سعد كاتب الواقدي، الطبقات الكبرى، دار الفكري العربي- القاهرة بدون تاريخ ٥ / ٢٦١ .

(٤) الجهشياري، الوزراء والكتاب، الطبعة الثانية - طبعة الحلبي ١٩٨٠، ص ٣٨ .

(٥) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، مكتبة وهبة- القاهرة ١٩٨٣، ص ٧٣ .

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ١٥٧ .

مالك بن عبد الله الخثعمي[1] ، صاحب الصوائف في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان أنه إذا أراد الحركة داخل الأراضي البيزنطية، يلقي خطابًا في قواته يشير فيه بأنه سيسلك الطريق الفلاني، فتنطلق جواسيس العدو بعد أن تسمع هذا الخطاب مخبرة قيادتها بذلك، إلا أنه عندما يصدر أمر الحركة الفعلية، يعلن خطة جديدة تقوم على اختيار درب آخر، حتى سماه البيزنطيون الثعلب[2] .

والذي دفع القائد مالك بن عبد الله الخثعمي إلى اتخاذ هذه السياسات هو تركيبة السكان الذين يقنطون الثغور، والذين معظمهم من غير العرب، وغير المسلمين، فضلاً عن وعورة المنطقة، وكثافة أدغالها وغاباتها، ومناخها المتطرف، لاسيما في فصل الشتاء البارد والمثلج، وخوفه من الوقوع في كمائن الأعداء، لأن نجاح العدو - في بعض الأحيان - في جبهة الثغور الشامية والجزرية، يعتمد على طبيعة القيادة العسكرية الإسلامية، وإمكاناتها ونشاط عيونها، وكفاءة الوحدات المقاتلة، فضعف هذه العوامل هو الذي مكّن البيزنطيين في بعض الأحيان من متابعة تحركات السرايا منذ دخولها الأراضي التابعة لهم، وحتى انسحابها، وفي أي الوديان تعسكر في طريقها[3] .

وقد عُرف عن قتيبة بن مسلم الباهلي بأنه كان لا يفصح عن هدفه، بل ينوّه بهدف آخر، وذلك من أجل الحفاظ على أمن الخطط، وكان أحيانًا لا يبوح بخطته لهيئة قيادته حتى اللحظة الأخيرة[4] .

٧- اللجوء إلى وسائل مبتكرة للتمويه، وللحيلولة دون وقوع المعلومات بيد

---

(١) مالك بن عبدالله الخثعمي، أحد قادة الصوائف، اشتهر في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في ثغور الشام والجزيرة. انظر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة ص ٢٥٣، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٢٢٧ - ٢٩٩ .

(٢) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب ٦ / ١٧٦ .

(٣) محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨هـ، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام، دار السلام العربي - بيروت ١٩٩٠، حوادث سنة ١٠١ - ١٠٢ .

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٢، وابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٧ / ٢٣٦ - ٢٣٨ .

الأعداء، كأسلوب متطور من أساليب العمل الأمني في العصر الأموي، فقد كانت التقارير ترسل بطريقة خفية، وبحيلة من الصعب على العدو أن يكتشفها، فأحيانًا ترسل التقارير في رغيف من الخبز، أو في سروج الخيل، بعد حفرها وإيداع الرسائل في داخلها بشكل لا يلفت الانتباه وبطرق فنية مبتكرة جديدة لم يتعود عليها العدو من قبل[1] .

فقد ظهر تطور أساليب العمل الأمني خلال عملية فتح الأندلس بتطبيق ذكي لأمن الخطط، فللحيلولة دون وقوع المعلومات بيد العدو، وعدم لفت انتباه جواسيس العدو القوطي إلى الفتح الإسلامي ثم الاتفاق مع يوليان حاكم سبتة بطريقة متطورة غير معتادة على أن تتم عمليات العبور بسفنه[2] وقد تم اختيار مدينة «سبتة» لأنها لم تكن من الناحية الفعلية خاضعة للسيطرة العربية.

هذا التطور الأمني أمر ضروري وحساس خاصة في العمل العسكري، ويفسر هذا أن الكتمان الشديد أمر يتطلبه الواقع، ومصلحة الإسلام والمسلمين تتطلب ذلك.

٨- وكما أن أمن الخطط ومنع تسربها أمر ضروري وحساس في الجانب العسكري فإنه أمر ضروري وحساس في العمل الإداري، فقد حرص بعض الخلفاء الأمويين بشدة على عدم تسرب أي شيء من أسرار العمل الإداري، فكانوا يقومون بأنفسهم بكتابة الرسائل السرية على أصغر مساحة ممكنة من الجلد - كأنها أذن فأرة - ودرجها بطيّ كتاب آخر اعتيادي، كتبه صاحب الرسائل، كما حدث عند تولية الخليفة هشام بن عبد الملك ليوسف الثقفي على العراق وعزل خالد القسري[3] .

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ص ٢٠٠ - ٢٠١، وعبدالرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوح- القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٦٨م ١ / ٦٣ - ٦٤ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختاري العبادي، البحرية الإسلامية - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٦٩ . ص ٣٦ و ٣٧ .

(٣) الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص ٦٢ - ٦٣ .

فهذا في حدّ ذاته تطور في أساليب العمل الأمني في العصر الأموي، وهذا التصرف الذي حدث من الخليفة هشام بن عبد الملك، أمر يتطلب الكتمان الشديد، وذلك لخطورة القرار المتعلق بعزل والٍ استغرق حكمه للعراق والمشرق حوالي خمس عشرة سنة.

٩- ومن تطور أساليب العمل الأمني في العصر الأموي أن الخليفة عبدالملك بن مروان أنشأ ما يمكن وصفه بأنه من شئون أمن القادة أو ما أشبه ذلك، وحمايتهم من محاولات الغدر، خاصة أن الخليفة عبدالملك بن مروان كان لديه حساسية شديدة إزاء هذا الخطر[١]، لاسيما وأن الأمة الإسلامية قد شهدت ثلاث حالات اغتيال لثلاثة من الخلفاء الراشدين، وهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[٢] فضلاً عن محاولتين غير موفقتين، استهدفتا معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص[٣] وهذا ما يفسر إنشاء المقاصير من قِبَل معاوية بن أبي سفيان، وزياد بن أبيه[٤].

وقد عُرف عن القائد العظيم المهلب بن أبي صفرة نجاحه في تأمين شخصه في جبهات القتال أمام عدو متمرس مستميت، وهو الخوارخ، وهذا بفضل عيونه وجواسيسه اليقظين[٥]، فضلاً عن قوة البصيرة التي كان يتمتع بها، والتي أنقذته في إحدى المرات من كمين مهلك نصبه له الخوارج[٦].

١٠- ومن الأساليب المتطورة في العمل الأمني، لجوء الخليفة عبد الملك بن مروان إلى استخدامه رقابة على العين المكلف بمهمة من قِبل عين آخر، وذلك من أجل التأكد من سلامة التنفيذ في وحدات العيون والجواسيس عنده[٧].

---

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٩ / ١٧٠.

(٢) محمد جرير الطبري، تاريخ الطبري ٤ / ١٩٠ - ١٩٤، ٥ / ١٤٤ - ١٤٧.

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ١٤٩.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٢٧.

(٥) أبو علي القالي، كتاب الأمالي، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ ١ / ٢٦٤.

(٦) محمد يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، بدون تاريخ، ٣ / ٣٣١.

(٧) علي بن حجة، ثمرات الأوراق، طبعة دار العلمية- بيروت، بدون تاريخ طبع. ص ٣٤٢ - ٣٤٢.

كما نجد قتيبة بن مسلم يلجأ إلى أسلوب آخر متطور وأقل كلفة، وذلك عبر شق لوح منقوش وإعطائه للشخص المكلف بالمهمة، ويطلب منه في نهاية العملية أن يضع الشق الخاص به في مكان ما، وقد يكون تحت شجرة، أو مخاضة، أو في خربة، في حين يرسل الشق الثاني مع عين آخر لكي يأتي بالنصف الأول على السياق نفسه[1].

من خلال عرض هذه الأساليب الأمنية المتطورة التي استخدمها الخلفاء الأمويون يتبين لنا مدى تطور مفهوم الأمن عندهم، ومدى ظهور أساليب مبتكرة في العمل الأمني، مما أعطاها التفوق الأمني في استخدام العيون والجواسيس على العدو.

***

المبحث الخامس

الهيكل الإداري والتنظيمي للعيون والجواسيس في العصر الأموي

كانت مسئولية الإشراف على العيون والجواسيس في العصر الأموي غير منحصرة في هيكل إداري واحد على الأرجح، وبالتالي فإننا نجد أنفسنا أمام جهات عديدة أخذت على عاتقها المسئولية الكبرى في إدارة هذا العمل الأمني الخطير، هذه الجهات بدءًا من الخليفة الذي مارس دوره في إدارة العيون والجواسيس، وإنشاء ديوان البريد كمؤسسة داخل الدولة فقد أخذت على عاتقها مسئولية إدارتها، حريصين كل الحرص على الاستفادة منها ومن مميزاتها الإدارية والتنظيمية كمؤسسة، ومن طبيعة التسهيلات التي كانت تقدمها، كما تولي إدارة العيون والجواسيس والإشراف عليها عامل الخراج، وأصبح له دور أمني فعّال، ثم صاحب الشرطة أيضًا المرتبط إدارة بعامل المصر أو الجند كان له من عيونه

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠٤ .

الخاصة التي تعينه في مسئولياته الكبيرة على صعيد حفظ الأمن، كما كان للخليفة عيون مرتبطين به مباشرة، وكان شديد الحرص على إمالة قلوب الرعية وامتلاك أفئدتها، وخلق الإحساس بالأمان والثقة والسكينة والألفة، ورغبة الخليفة في تحقيق ذلك يدعو إلى التآلف وحسن الطاعة، وتبعث على الاتفاق وبذل النصيحة، وذلك من أقوى الأسباب في حراسة الدولة[1]، ومع ذلك عدله ولطفه ورأفته وكرمه وسخاؤه وحنوّه على رعيته، وعفوه ورده للمظالم، فوراء كل هذه الفضائل الجميلة تحصل له الطاعة والولاء، ليس من قِبل عيونه وجواسيسه فقط، بل من الرعية كلها[2].

نستطيع القول بأن هناك أربعة هياكل، كان العيون والجواسيس يعملون في إطارها وبصورة مستقلة، وتتعاون فيما بينها، وهي: ديوان البريد وصاحب الخراج، وصاحب الشرطة، وعيون الخليفة المرتبطة به.

إن صاحب الإشراف بصورة عامة ومباشرة على الإدارة الأمنية الداخلية للدولة، والإشراف على التجسس الداخلي هو الخليفة الأموي، فقد مارس دوره في إدارة العيون والجواسيس بصورة فعالة في معظم الأحيان، فكانت أوامره إلى عماله وقادته تستند إلى تقارير العيون في كثير من الأمور.

أما الإشراف على التجسس الخارجي فلعماله وقادته العسكريين في الأمصار والجبهات، والذين يزودونه في الوقت نفسه بخلاصة الموقف بصورة مستمرة، ليكون على اطلاع تام على الأمر، مع استثناءات قليلة تركت للخليفة في الإشراف على التجسس الخارجي[3].

فقد كانت تقارير الأجهزة الأمنية المنتشرة في أمصار الدولة الأموية تصل إلى عاصمة الخلافة «دمشق»، وهذه التقارير تختلف في أهميتها وترتيب

---

(١) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠هـ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق رضوان السيد، طبعة دار العلوم العربية- بيروت ١٩٨٧م ص ٢٢٤.

(2) Kametti (Ilias) Mosse et Puissamce, p 317 - 318 EGallimard.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ١٢٦.

أولياتها، ما بين تقارير مستعجلة جدًا، وتقارير مستعجلة، وتقارير لمجرد الإطلاع، فتنسيق التقارير يتطلب كادرًا خاصًا متخصصًا وموثوقًا به بدرجة كبيرة، لكي يقدم خلاصات هذه التقارير، وتقديم مقترحات متعددة لكي يختار الخليفة المناسب منها ضمن هيئة معاونيه الأمنيين والتي تشمل الكاتب، وصاحب ديوان الرسائل والخراج، وآخرين ممن لم تكن لهم صفة رسمية ثابتة، فالكاتب في العهد الأموي كان يمارس أحيانًا ما يشبه صلاحيات الوزير العباسي كما كان ينافسه صاحب ديوان الرسائل في أحيان أخرى، فضلاً عن كاتب الخراج[1]، علمًا بأن الأمر كان يحتاج أحيانًا إلى الاستعانة بخبراء متخصصين في شئون أمن الإقليم أو المصر[2] .

كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يمارس دوره في إدارة العيون بصورة مباشرة، فقد قام بفرض رقابة دقيقة ومحكمة على أفراد الحاميات وأسرهم وعيّن موظفًا في كل حامية ليتحرى عن الداخلين والخارجين حتى لا يتسلل عين أو جاسوس للعدو إلى أرض المسلمين، فيتعرفوا على مواقع معسكراتهم ومدى قوة استعداداتهم العسكرية ونقاط الضعف بها إن وجدت[3] .

وحين انتقلت الخلافة إلى الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، اهتم بأمر العيون والجواسيس، حيث يرسل عيونه وجواسيسه أمام جيشه لكي ترصد أخبار العدو، كما يوصي قادته بأن يستميلوا بعض أبناء البلاد المفتوحة ليكونوا عيونًا لهم يقدمون لهم المعلومات الصحيحة عن تحركات العدو[4] .

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة ص ٢٢٨، ٣١٢، ٤٠٨، ٣٦٢ - ٣٦٧، ٨، ٢٢٩ ، ٣٥٥ ، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ١٨٠ - ١٨٢ .

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧، والدينوري، الأخبار الطوال ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٣) وفيق الوقدوقي، الجندية في عهد الدولة الأموية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ١٩٨٥ . ص١٧٧ .

(٤) المبرد، كتاب في اللغة والأدب ٢ / ٢٢٧ ، ٢٢٨، ٢٤٢ ، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٨٣، ٢٨٧، وابن قتيبة الإمامة والسياسة ٢ / ٥٤، ومحمد بن جرير الطبري تاريخ الطبري، ٦ / ٢٢٩، ٢٣٢ ، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٧ .

ديوان البريد وإدارة العيون:

عندما أنشأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان ديوان البريد، كانت أول مؤسسة يعمل في إطارها العيون والجواسيس مستفيدين منها لمالها من مميزات إدارية وتنظيمية، وما تقدمه من تسهيلات من خلال النقل السريع المأمون.

هذه المؤسسة يقصد بها لغة: المسافة بين كل منزلتين، ويقصد بها أيضًا الرسل على دواب البريد[1].

أما اصطلاحًا: فيقصد بها، وضع خيل سريعة في عدة محطات، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها، وقد تعب فرسه، تركه وركب غيره من خيول المحطة، وكذلك يفعل بالمكان الذي يليه حتى يصل الهدف[2].

فأول من وضعه في الإسلام كمؤسسة هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وذلك حين استقرت له الخلافة، ولكي تسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها.

وليس معنى هذا أنه لم يكن للبريد وجود قبل الخليفة معاوية، بل كان موجودًا في أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولكن في زمن الخليفة معاوية كان التنظيم والتطوير، والاستعانة بدهاقين الفرس، وأهل أعمال الروم، وعرّفهم لما لهم من خبرة في هذا المجال[3].

فالمهمة الرئيسية للبريد هي نقل الأخبار والرسائل بين عاصمة الخلافة وبين الأمصار الأخرى، وكان للبريد ديوان للنظر في أمور موظفي البريد ودوابه وأمكنته، وينبغي لموظفي هذا الديوان أن يكونوا على اطلاع تام ومعرفة دقيقة بالطرق والمسالك، بحيث يجد الأمير أو القائد عندهم كل المعلومات المطلوبة، وأصبح ديوان البريد إدارة مستقلة يتولاها شخص يعرف بصاحب البريد،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (ب. ر. د.)

(٢) محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٨٨.

(٣) أبو هلال عبدالله بن سهل العسكرية، كتاب الأوائل ص ١٦٢.

وكانت وظيفته من أهم الوظائف الإدارية في العصر الأموي، وكان يتمتع بنفوذ كبير[1] . وذلك لما يديره من أمر العيون والجواسيس التي تخدم أمن البلاد وتعمل على تقديم المعلومات عن العدو أولاً بأول، مما يهيئ للمسلمين دائمًا كشف خطط العدو ومعرفة أخبارهم.

كان البريد واسطة بين الخلفاء والولاة والقادة لنقل المعلومات والأخبار والأوامر وكان أصحاب البريد رقباء ومفتشين من قِبل الدولة يرفعون التقارير عن أحوال الجند في مختلف حالات القتال، وفي كل الظروف والأوقات ويخبرونه بحال المال والعطاء، ومن واجبات صاحب البريد أيضًا مساعدة الإدارة العسكرية في التموين والإمداد وحفظ القوافل وحفظ الطرق وصيانتها من الأعداء وانسلال الجواسيس في البر والبحر، وإليه كانت ترد كتب أصحاب الثغور وولاة الطراف، فيقوم بتوصيلها بوجه السرعة من اختصار للطرق، واختيار المراكب لمعرفته بالطرق والمسالك إلى جميع النواحي، وكان الخليفة يجد عنده ما يحتاج إليه من المعرفة عند إنقاذ جيش وغيره وقت الحاجة إلى ما هنالك من مهام قام البريد بتأديتها[2] .

استخدم الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان في كل ثغر صاحب بريد كعين له، يخبره بكل ما يحدث ويجري في ذلك الثغر من أحداث وبخاصة فيما يتعلق بتحركات الأعداء ونواياهم، ثم يرفعها إلى مركز الخلافة ليرى فيها رأيه وأمره[3] .

---

(١) مجموعة مؤلفين من رابطة العالم الإسلامي، صناعة الكتابة وتطورها، مكة المكرمة سلسلة دعوة الحق - بدون تاريخ ص ٣٢ .

(٢) أبو علي الحسن بن علي العباسي، أثار الأول في ترتيب الدول، طبعة بولاق - القاهرة ١٨٧٨م، ص ٨٣، ٨٥ . وقدامة بن جعفر البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة - تحقيق محمد حسين الزبيدي، منشورات الرشيد، بغداد ١٩٨١م ص ٥١، ٧٨، وابن الأزرق محمد بن علي بن محمد، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام العراقية بدون تاريخ ٢ / ٥٢٠ .

(٣) التنوخي أبو علي المحسن بن علي، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي - منشورات دار صادر، بيروت ١٩٧٨م، ٢ / ١٩١ .

كما كانت هذه المؤسسة تستخدم في جمع الأخبار وتنسيقها، ثم نقلها وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، والهدف من وراء هذا الاهتمام وهذا التخصص كهذه المؤسسة هو التحديات التي واجهها الخليفة عبدالملك سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي، لذلك كان حريصًا على معرفة الأخبار التي ينقلها البريد أولاً بأول، فكان يقول لحارسه ابن الزعيزعة: «والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب...»[1]، وكان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي[2] يشرف على البريد في عهد عبد الملك بن مروان، حيث كان قبيصة يقرأ التقارير السرية التي تحمل الأخبار في سرية تامة، ثم يقوم بتنسيقها، ثم يدخلها على الخليفة، حتى يقوم بتقديم موجز لها فيها، وكان يقوم بالإجابة عليها، نيابة عن الخليفة عبد الملك بعد أن يأخذ منه الخطوط العريضة لهذه الإجابة[3].

ونظرًا للمسئولية الكبيرة التي كانت ملقاة على عاتق قبيصة بن ذؤيب، فقد كان يحق له الدخول على الخليفة عبدالملك في أي ساعة من ليل أو نهار[4].

وفي زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك لعب البريد كمؤسسة وكهيكل يندرج تحته عمل العيون والجواسيس دورًا هامًا، فبواسطته كان يوجه القادة ويلقي إليهم الأوامر، وبه تأتيه الأخبار عن هؤلاء القادة.

وفي خلافة يزيد بن الوليد الأموي كان يوسف بن عمر الثقفي عاملاً له على العراق وكان في عهده الحجاج بن عبد الله البصري، ومنصور بن نصير وهما رجلان كانا على الخبر ما بين الشام والعراق[5].

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الأوائل ص ١٦٢.

(٢) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني الفقيه بدمشق، وكان من علماء الأمة. انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ١ / ٩٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥ / ١٣١، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤١٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ١ / ١٧٣.

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤١٢.

(٥) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١٧٥، ٢٧١.

يُفهم من هذا النص أن هذين الرجلين كانا عينين لنقل الأخبار نقلاً مباشراً ما بين مركز الخلافة دمشق وبين واسط في العراق، كما يدل على أن هذين الرجلين تم اختيارهما بعد تمحيص وتدقيق نظراً لما يُسند إليهما من مهام جسام تمس أمن الدولة وسلامة أبنائها، ولمدى أهمية مسئوليتهما السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، تحت مظلة وهيكل ديوان البريد.

وإن مثل هذين الرجلين - وهم كثيرون - قد روعي في اختيارهم الكفاءة والثقة والتجربة، فقد كان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي مشرف البريد في عهد عبدالملك بن مروان فوق ذلك كله فقيهًا ومحدثًا ثقة، فضلاً عن كفاءته المهنية[1].

إن المتتبع لديوان البريد خلال العصر الأموي ليجده قد قام بإدارة العيون والجواسيس، وأسند إليه كثير من المهام الأمنية التي تمس أمن الوطن والمواطن في الداخل والخارج، كجمع الأخبار ونقلها إلى الخليفة، وليس وحده المسئول والمشرف على العيون، بل يعتبر ديوان البريد مؤسسة من بين مؤسسات الدولة التي تشرف على هذا الأمر، وأخذت على عاتقها جانبًا من المسئولية الأمنية.

عامل الخراج وإدارة العيون:

عرفنا فيما سبق أن مسئولية الإشراف على العيون وإدارتها لم تكن مقصورة على ديوان البريد ومشرفيه، أي ليست منحصرة في هيكل إداري واحد، بل المسئولية في الإشراف على العيون والجواسيس تتداخل، والخليفة والدولة تستفيد من الجميع، فكان عامل الخراج يتحمل جانبًا من المسئولية أيضًا في الإشراف، لما لديه من عيونه الخاصة به، وكانت المهمة التي تسند إليهم مهمة مزدوجة، ما بين الإشراف على الخراج وجبايته وحساباته، في الوقت الذي تصل فيه سلطته

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥ / ١٣١، وابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق محمد علي البجاوي، طبعة دار نهضة مصر - القاهرة د.ت ٥ / ٥١٨.

إلى أقصى أنحاء الريف لاسيما من خلال الدهاقين، أو من خلال عمال القرى الذين كانوا بدورهم مسئولين عن أي حادث مهم يقع في قراهم[1].

كما كان يوجد تداخل وتعاون بين عامل الخراج وعامل الحرب، حيث يقوم بتبليغه ما يتجمع لديه من معلومات، ويرسل من هذه المعلومات نسخة إلى الخليفة، فالأمثلة التي تدل وتبرهن عن الدور الأمني لعامل الخراج عديدة منها أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان قام بتعيين مولاه عبد الله بن دراج على خراج العراق[2]، ولم يكن السبب اقتصادي فحسب، بل كان أمنيًا أيضًا، خاصة أن الخليفة معاوية كان عليه أن يعرف أوضاع العراق غير المستقر وقاعدة الشرق كله، ليس عن طريق عامل الحرب وحده بل وعن طريق عامل الخراج.

وفي عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك، كان عامل الخراج على المدينة المنورة رجل من أهل الشام يُقال له «ابن هرمز»، وبجانب عمله في الخراج كان له دور أمنيّ يشمل مراقبة الوالي، كما فعل مع والي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك، حيث أخبر عنه الخليفة وعما يحدث منه في المدينة حتى عزله الخليفة.

وفي عام ١٠٩هـ كان عامل الخراج على مدينة «مرو» الحسن بن شيخ وكان عينًا للخليفة هشام بن عبد الملك في نفس الوقت، وهو الذي كشف التنظيم العباسي في خراسان سنة ١٠٩هـ بقيادة زياد بن أبي محمد مولى همذان، وعند التحقيق معه من قِبل أسد القسري والي خراسان، اكتشف أسد أنه سبق أن رأى زياد في حانوت بدمشق، فبرر زياد الرؤية بأنه تاجر، واقتنع الوالي أسد القسري ببراءته فأطلق سراحه مقابل مغادرته خراسان، إلا أن عامل الخراج الحسن بن شيخ وعين الخليفة في نفس ا لوقت لم يهدأ حتى قبض عليه مرة أخرى فأعدم مع مساعديه الثمانية.

وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أيضًا كان والي العراق خالد القسري،

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ٦ / ٢٤٠- ٢٥٨، ٧ / ١٣٠.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٥٨.

وكـان عامل الخـراج فيـهـا مولاه طارق، ويشـرف على الجـانب الأمني، وله صلاحـية اتخاذ الإجـراءات المناسبة، لمعـالجة الحالات الطارئة قـبل الرجوع إلى والي العراق خالد القسري[1] .

وفي عهـد الخليفـة هشام أيضًـا سجل عامل خـراج دمشق أروع الأعـمال الأمنية، حيث كشف في عام ١٢٦هـ الأسباب الخفية للحرائق التي أخذت تجتاح دمشق، والتي اتهم فيها عامل دمشـق خطأ موالي وأنصار خالد القسري، وكان هذا هو السـبب في إلقاء القـبض على أسرته وأنصـاره، في حين كان السـبب الحقيقي لها هو أحد لصوص الكوفـة، أبو العمرس وعصابته، وكان الهدف من الحرائق لإشغال الناس ريثما يقوموا بنهب جانب آخر من السوق[2] .

مما يدل على أن عـامل الخراج كان عـينًا مخلـصًا في عمله، وعـلى درجة عالية من الكفاءة، والقـدرة على تقصي الأخبار، وتتبع المشاغـبين والمتسببين في إخلال الأمن في البلاد، وأن عامل الخراج هذا لـديه العيون والجواسيس الذين يعملون في الإشـراف على الخراج، ويعملون أيضًـا في جمع الأخبار والحـفاظ على الأمن في البلاد.

وفي زمن الخليفة يزيد بن الوليد الأموي الذي تولى خلافة المسلمين في عام ١٢٩هـ كان عـامله على الخراج محـمد بن سعيـد الأزدي ، وقد عينه الخليـفة مشرفًا على عيونه في جند الأردن[3] .

مما سبق عرضه من أمثلة لمشرفي عامل الخراج على أمر العيون والجواسيس، يتـبين لنا أن صـاحب الخـراج كـان له نصـيب وافـر في إدارة هيكل العـيـون والجواسـيس في العصر الأمـوي، ليس وحده فحسب بـل مشاركًا مع جـهات أخرى في هذه الإدارة.

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١٢، ١٣ ، ٥٠، ١٤٧ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري، الأخبار الطوال ص ٣٤٥، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٢٦٧ - ٢٦٨ .

صاحب الشرطة وإدارة العيون:

الشرطة مهمتها الأولى حفظ الأمن في البلاد، ونشر الطمأنينة بها، وفي العصر الأموي صار نظام الشرطة أكثر وضوحًا، وأشد قوة وإحكامًا، وعُرف رجال الشرطة بشدة المراس وقوة الشكيمة وعفة الخُلُق، والصدق في الأمانة والإخلاص في العمل.

وكان صاحب الشرطة في العهد الأموي يتمتع بسلطات واسعة، طالما أنه كان ينفذ العقوبات بحق الأفراد الذين يرتكبون جرائم تخلّ بالنظام، وتعكر صفو الناس وأمنهم[1].

وكان لصاحب الشرطة المرتبط إداريًا بعامل المصر، أو الجند عيونه الخاصة التي تعينه في مسئولياته الكبيرة، على صعيد حفظ الأمن، أو مراقبة الحركات السياسية المعارضة. وقد صرح بذلك والي المدينة المنورة عثمان بن حيان المرّي في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في سنة ٩٤هـ خطب الناس قائلاً: «.... فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم، إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم، فدعوا عيب الولاة...»[2].

وفي أواخر العصر الأموي ظهر منصب جديد إلى جانب جهاز الشرطة، وهو نظام الأحداث، وصاحب هذه الوظيفة يسمى «صاحب الأحداث» أو والي الأحداث، ومهمته المحافظة على الأمن خارج العواصم، وهو خطوة وسط بين الشرطة والجيش، ويغلب على صاحب الأحداث الطابع العسكري الصارم، وذلك لكثرة تعرض المناطق النائية عن العاصمة للفتن والاضطرابات من الداخل، وغزوات الأعداء من الخارج، وبذلك حققت وظيفة الأحداث التعاون مع الشرطة من ناحية، ومن ناحية أخرى التعاون مع الجيش، وقد طبق هذا النظام في العراق، وحقق نتائج هامة، وعادت بأحسن المردود[3].

---

(١) مجموعة من المؤلفين، حضارة العراق، طبعة دار الحرية- بغداد ١٩٨٥م ٦ / ٢٩٠.

(٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٦.

(٣) مجموعة من المؤلفين، حضارة العراق ٦ / ٢٩٠.

وقد أشير إلى هذه الوظيفة في عهد والي العراق خالد القسري (١٠٥-١٢٠هـ) ويقصد بالحدث والأحداث الحالات الطارئة، أي أن صاحب الأحداث مهمته مراقبة الحركات السياسية المعارضة، والتي تسمى في منظور السلطات الأموية «أهل الأهواء» وكان على صاحب الأحداث مراقبة تصرفات الحركات، والشخصيات المعارضة في طروحاتها الفكرية للسلطات الأموية[١] .

وظهر منصب آخر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، هو صاحب العصاة، وكان يتولاه أحد الخوارج السابقين، وهو ابن عقفان، ومهمته تشخيص أصحاب الأفكار المعارضة والقبض عليهم[٢] .

مما سبق نجد أن صاحب الشرطة أشرف على أمر كثير من العيون التي تعينه في مسئولياته، وتساعده في حفظ الأمن، ومراقبة الحركات السياسية المعارضة وتعمل على توفير الأخبار، التي تخدم القادة والولاة وتعمل على توفير الأمن للبلاد.

عيون ترتبط بالخليفة مباشرة:

عندما تعمل العيون والجواسيس تحت إشراف الخليفة مباشرة، فليس هناك شك في أنها تتمتع بإمكانيات وصلاحيات كبيرة، مثل أشرس بن جبير النخعي، كان عينًا لعبد الملك بن مروان بالعراق، وكان عبد الملك فرض له في ألفين[٣] ، أي أنه يجذل له العطاء، وتنال هذه العيون كثيراً من الامتيازات المادية.

لقد وردت أخبار كثيرة في سياقات سابقة تبين لنا الدور الفعّال والكبير لعيون الخلفاء الأمويين وما قدموه من أخبار تخدم أمن البلاد وأمن الخلافة، مثل ذلك عيون الخليفة عبد الملك بن مروان في العراق أثناء سيطرة ابن الزبير[٤] .

---

(١) مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، طبعة مصورة عن مكتبة المثنى - بغداد بدون تاريخ، ٣ / ١٥ .

(٢) عز الدين علي بن محمد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ - طبعة دار صادر- بيروت ١٩٦٥م ٥ / ١١٨ .

(٣) أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، تحقيق سيد كسروي، دار الغد العربي - القاهرة ٢٠٠٠م ص ٣٢٩ .

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة ٢ / ١٩١ . ومحمد بن حبيب، المحبر ص ٣٢٩ .

وانظر أيضًا عيون الخليفة هشام بن عبد الملك في العراق، في عهد خالد القسري، وكان مولاه طارق يشرف على الجانب الأمني، وله صلاحية اتخاذ الإجراءات المناسبة في حل المشكلات الطارئة قبل الرجوع إلى الوالي[1].

انظر مدى ما يتمتع به هذا العين من حرية في التصرف واتخاذ القرارات والإجراءات، وهذا يدل على مدى ما تتمتع به عيون الخلفاء من صلاحيات. وانظر أيضًا إلى عيون الخليفة مروان الثاني لكشف التنظيم العباسي[2].

من خلال ما سبق عرضه في مبحث «الهيكل الإداري والتنظيمي للعيون والجواسيس في العهد الأموي، نجد أن العيون والجواسيس عملت في إطار أربعة أقسام أو هياكل وبصورة مستقلة، وتتعاون فيما بينها ويكمل كل منهم الآخر؛ لأن هدفهم جميعًا واحد وهو العمل على توفير الأمن والاستقرار للدولة، فقد استفادت العيون والجواسيس من إشراف البريد في النقل السريع للأخبار، ووصول المعلومات في سرية تامة، وانتشار البريد في كل أنحاء الدولة الكبرى.

إن تعدد الهياكل التي عملت من خلالها العيون والجواسيس كان سببًا في تحقيق فوائد مهمة منها: عدم انفراد جهة واحدة بعينها بهذا العمل، وأن اعتماد الدولة على جهة واحدة يجعلها في وضع تكون فيه المعلومات التي تحصل عليها كمًا ونوعًا تعتمد على تصورات منفردة، وفي حالة إصابة أي حلقة من حلقاته بأي خلل، فإنه يؤدي إلى إصابة مجموع عناصر الرؤية والتمييز والاختيار لدى أصحاب القرار هي الأخرى بالعطب، ولكن التعددية تؤدي إلى تزويد أصحاب القرار بتحليلات وتقويمات متعددة[3].

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١٤٧، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٣.

(٢) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ بعناية بطرس مطبعة موسكو، أكاديمية العلوم السوفيتية، معهد الدراسات الشرقية ١٩٦٠ ص ١٥٩.

(٣) علي عباس مراد، الأجهزة الاستخبارية، مجلة الأمن القومي - بغداد كلية الأمن القومي - العدد الثالث ١٩٨٥، ص ١٩٩.

وسائل نقل الأخبار عند العيون والجواسيس:

استخدم خلفاء العصر الأموي وقادته أكثر من وسيلة لنقل الأخبار، وتوصيلها من مكان إلى مكان آخر، وفي مقدمة هذه الوسائل «**الخيل**»، فالخيل العربية أعرق الخيل أصولاً، وأكرمها دمًا.

ونظرًا لسرعتها في توصيل الأخبار وتوصيل البريد، وعندما تم تعريف البريد من حيث الاصطلاح قيل: وضع خيل سريعة في عدة محطات، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها، وقد تعب فرسه، تركه وركب غيره من خيول المحطة، وكذلك يفعل بالمكان الذي يليه حتى يصل الهدف[١].

كما كان العيون يستخدمون سروج الخيل هذه في إخفاء الرسائل حتى لا تقع في أيدي العدو[٢]. فاستخدام الخيول كوسيلة لنقل الأخبار أمر ثابت في العصر الأموي[٣].

كما استخدمت «**البغال**» في عمليات نقل الأخبار، وبصورة رئيسية «دواب البريد» وهي من البغال مقطوعة الذنب، وهي علامة مميزة لبغال البريد[٤].

وكان الخبر يتم أحيانًا عبر اصطحاب العين لعشرة رجال، يرسل عند كل مرحلة واحدًا منهم رسولاً إلى المقر، ينقل إليه آخر الأخبار[٥].

كما استخدمت **النيران** ليلاً والدخان نهارًا لإيصال الأخبار، فقد اتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي المناظر بين واسط وقزوين، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر، إذا كان نهارًا، وإن كان ليلاً أشعلوا نيرانًا متصلة[٦].

---

(١) محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية ص ٨٨.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ص ٢٠٠ - ٢٠١، وعبدالرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان ١ / ٦٣ - ٦٤.

(٣) مجهول، العيون والحدائق ٣ / ٨٢.

(٤) عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، كتاب البغال، تحقيق عبدالسلام هارون، طبعة الخانجي، القاهرة ١٩٦٤م ٢ / ٢٧٢.

(٥) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٨٢ - ٨٣.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان ٥ / ٣٥٠.

أما عن استخدام «الحمام» في نقل الأخبار في العصر الأموي فلم يرد سوى نصوص نادرة نص متقدم ونص متأخر، ولكن الذي يجعلني أتجرأ وأقول: إن استخدام الحمام في نقل الأخبار في العصر الأموي، دليل سابق للعصر الأموي استُخدم فيه الحمام، فقد دفع محمد بن علي بن أبي طالب إلى بعض خاصة إبراهيم بن الأشتر حين خرج مطالبًا بدم الحسين حمامًا، بياضًا ضخامًا، وقال: إن رأيتم الأمر لنا فدعوها، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها[1] .

أما عن استخدامه في العصر الأموي فقد أورد الحافظ الذهبي خبرًا نقلاً عن الإمام الشافعي وهو: قال حرملة[2] : حدثنا الشافعي قال: لما بنى هشام ابن عبدالملك «الرصافة»[3] بقنسرين[4] أحب أن يخلو يوم لا يأتيه فيه غمّ فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور فأوصلت إليه فقال: ولا يومًا واحدًا»[5] .

نلاحظ مما سبق أن الحمام نقل إلى الخليفة هشام بن عبد الملك في مقره بمدينة الرصافة خبر تعرّض أحد الثغور لهجوم معاد أحدث خسائر. وهذا النص الذي أورده الحافظ الذهبي من طريق حرملة بن يحيى، وهو رجل صدوق في نقله عن الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي هو مصدر ثقة، ومتقدم من الناحية الزمنية، نص يتمتع بأهمية استثنائية، فلعل هذه النصوص تدعم بعضها البعض في استخدام القادة الأمويين للحمام في نقل الأخبار، خاصة وأن الإمام الطبري قد أورد في تاريخه ولع أهل المدينة بتطيير الحمام منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[6] .

---

(١) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب ١ / ١٦٩ .

(٢) حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران، أبو حفص التُّجيبي، المصري، صاحب الشافعي، صدوق، مات سنة ثلاث أو أربع وأربعين ومائتين من الهجرة. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تقديم ودراسة محمد عوّامة ، الطبقة(٤)، دار الرشيد- سوريا- حلب ١٩٩٧م ص ١٥٦ .

(٣) الرصافة: موقع يقرب غرب الرقة بحوالي ٢٤، على طرف البادية، كان مصيفًا للخليفة هشام بن عبدالملك. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ٣ / ٤٧ .

(٤) قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤ / ٤٠٤ .

(٥) الحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، طبعة دار الغد العربي- القاهرة ١٩٩٦م، ٣ / ٥٧٣ .

(٦) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٤ / ٣٩٨ .

المبحث السادس

الواجبات المنوطة بالعيون والجواسيس في العصر الأموي

لاشك أن الواجبات المنوطة بالعيون والجواسيس في أي عصر من العصور متعددة، ومتنوعة ومثقلة لكواهلهم، ولكن حب العمل والإخلاص والتفاني فيه، وحب الدين وحب الوطن قد خفف عنهم، وجعلهم يبذلون الغالي والرخيص في سبيل تحقيق الأمن والأمان للدولة.

لقد قامت العيون والجواسيس خلال العصر الأموي بالواجبات المنوطة بهم والتي ألقيت على عاتقهم، من خلال الاستطلاع العميق وجمع الأخبار، وتضليل العدو، والحرب النفسية تجاه العدو، والتفاوض مع الأعداء، والقيام بعمليات الردع الخاصة تجاه الخصم، واختراق التنظيمات المعادية، وتوقيت نصب الكمائن للعدو، ومراقبة الجهاز الإداري للدولة، ومراقبة أداء القادة العسكريين، ومراقبة الشخصيات ذات النفوذ، فبعث العيون يعتبر من بين الوسائل الفعالة في مراقبة أحوال العمال والولاة، فهم عيون إلى أرجاء أقاليم الدولة متنكرين في هيئة تجار ومسافرين ودراويش، تكون مهمتهم إعداد تقارير عما شاهدوه وسمعوه، حتى لا تبقى أي منطقة في حكم المجهول[1].

فنحن أمام واجبات تمس الجبهة الخارجية، خارج أجهزة الدولة الإسلامية، وواجبات تمس الجبهة الداخلية أي ترتبط بأجهزة الدولة الإدارية والشخصيات المهمة. أما هذه الواجبات فهي:

الاستطلاع العميق:

إذا ما تحدثنا عن أوائل الجغرافيين المسلمين فلابد وأن نذكر في المقدمة العيون والجواسيس فمثلهم مثل أوائل الجغرافين المسلمين الذي مسحوا المناطق

(1) Nizam al - Mulk: Traite de gouvernement. Traduit du persan et annate for charles scheffer sindbad. Paris 1984. p. 71, 95, 134 .

المرشحة للعمليات العسكرية، تضاريسيًا، ومناخيًا وسكانيًا، وسياسيًا واقتصاديًا.

فالمعلومات التي كانت تُجمع عن طريق العيون، اعتبرت من أسرار الدولة، التي يجب التكتم عليها، ومما يؤكد هذا الطرح أن ما وصلنا من نتائج عمليات الاستطلاع العميق، كان لا يتجاوز كلمات محدودة، مسجوعة، مما يدل على أن تقاريرهم التفصيلية حفظت بعناية من أجل استخدامها، والاستفادة منها في الوقت المحدد، خاصة للأغراض العسكرية[1].

ويبدو أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان يهدف من إرسال عيونه إلى أي جهة من جهات الأرض معرفة كافة النواحي بالجهة أو المنطقة، فعندما أرسل خمسةً وعشرين عينًا إلى شمال القوقاز، والذي سبق وإن اقتربت من هذا المكان القوات الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان الخليفة معاوية يهدف إلى استطلاع أوضاع هذه الجبهة بصورة أفضل من ذي قبل، من كافة النواحي بالرغم من أن الهدف المعلن كان لمعرفة سد يأجوج ومأجوج، وقام بتأمين نجاح الرحلة من خلال إرساله كتابًا مع هدايا إلى ملك الخزر، الذي تقع المنطقة تحت سيطرته، يطلب منه أن يساعدهم إلى الوصول إلى هدفهم[2]، استطاع الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن يخدع ملك الخزر وشعبه، عن طريق إعلان هدف الرحلة، كرحلة استطلاعية لمعرفة سدّ يأجوج ومأجوج، وأخفى الهدف الأساسي وهو معرفة أوضاع جبهة القوقاز من جميع النواحي، فاستخدم الحيلة والتنكر والسرية.

كما قام زياد بن أبي سفيان أيضًا في عهد معاوية بن أبي سفيان بإرسال فريق لاستطلاع جبل الأَشَلّ[3]، قبل إرسال حملة بقيادة الحكم بن عمرو

---

(١) إبراهيم شوكت، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، ترجمة صالح فليح الهيتي، وخلدون داود صبري، طبعة بغداد ١٩٩٠م، ص٤٤.

(٢) محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، نشر مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، ص ٣١٠.

(٣) جبل الأشلّ: جبل في ثغور خراسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان ١ / ٢٠٠.

الغفاري[1] ، إلى جبل الأسل بخراسان، وقد عرف زياد أجباراً جيدة عن أهل جبل الأسل وسلاحهم، حيث ذكر هذه الأخبار في كتابه إلى الحكم بن عمرو الغفارى بأمره بغزو جبل الأشل فقال: إن أهل جبل الأشل سلاحهم اللّبود، وآنيتهم الذهب، . . .»[2] فيبدو أن هذا الفريق استطاع أن يمد القائد زياد بن أبي سفيان بأخبار عن هذه المنطقة، وبناءً عليها أعطى الأمر للقائد الحكم بن عمرو بالغزو في سنة ٥٠هـ .

كما كتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٥هـ عندما أمره الحملة إلى خوارزم، يقول: إن هذه المنطقة قليلة السَّلب، شديدة الكَلَب»[3] فهذه العبارة على رغم قصرها وقلة وعدد كلماتها، وخلوها من التفصيل إلا أنها تلخص الموقف حسب الطريقة المتبعة في التعبير آنذاك، والمتعارف عليه في الكتابة بين القائد وعيونه، فالمعنى الذي تسفر عنه هذه الكلمات أنها منطقة قليلة الإمكانيات الاقتصادية، وهي تحتاج إلى استعدادات عسكرية كبيرة.

لم يكتف عيون الاستطلاع بجمع الأخبار فقط، بل تطور بهم الأمر خلال العصر الأموي إلى وضع خرائط مصورة للمنطقة التي يستطلعون عنها، تبين الجبال والسهول والمنخفضات، والبحيرات، كما حدث للحجاج بن يوسف الثقفي عندما أمر باستطلاع منطقة «الديلم» قبل إرسال حملة إليها في مفاوضاته مع زعماء «الديلم» واستخدام المعلومات التي حصل عليها[4] .

وكما يوجد استطلاع في أماكن بعيدة عميقة بالنسبة للعيون، فقد كان هناك

---

(١) الحكم بن عمرو الغفاري من أصحاب رسول الله ﷺ، سكن البصرة، وقد عين زياد على البصرة، ثم عزله وولاه حملة إلى بعض أعمال خراسان، وتوفى سنة ٥٠هـ، انظر ابن عبدالبر، الاستيعاب ١ / ٣٥٦ - ٣٥٨ .

(٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٣٩٦ .

(٤) ابن الفقيه أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن - بريل ١٣٠٢هـ ص ٢٨٣ .

استطلاع قريب أيضًا، مثل الاستطلاع الذي قام به «ثبيت البهراني» في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة ١١٢هـ بتوجيه من القائد سعيد بن عمرو الحرشي، وكان مكان الاستطلاع معسكر الخزر بالقرب من الموصل، وذلك لمعرفة أخبار هامة عن المعسكر ودراسة أوضاعه قبل شن الهجوم، قال ثبيت البهراني: وجهني سعيد بن عمرو الحرشي طليعة، فأتيت العسكر - أي عسكر الخزز - وهم نيام، فانصرفت فأخبرته فحضض أصحابه وسار إليهم[1].

من خلال النظر في الرواية السابقة نلاحظ أن مهمة ثبيت البهراني هي اختراق معسكر العدو - الخزر - ودراسة أوضاعه قبل شن الهجوم عليهم، وقد استطاع أن يحصل على معلومات خطيرة تنفع المسلمين وتضر بالخزر، مما هيأ الفرصة للجيش الإسلامي من مهاجمة العدو ودحره وتحرير السبايا والغنائم.

تضليل العدو: استخدم الخلفاء الأمويون والقادة أيضًا العيون والجواسيس في عمليات التضليل سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي، وأعمال التضليل هذه حالها حال الحرب النفسية، تندرج تحت فن الخداع، هذا الفن الذي بلغ في العصر الأموي درجة عالية من الإتقان.

فعلى المستوى أو الصعيد الداخلي نجد المهلب بن أبي صفرة استخدم العيون في عملية تضليل ضد الخوارج شهدت تطبيقات ناجحة عديدة لمبدأ التضليل وهي: استخدام الخوارج النصال المسمومة ضد المسلمين، والذي صنعها لهم حداد من الأزارقة اسمه «أبزي»، فأراد المهلب بن أبي صفرة التخلص من هذه النصال المسمومة، فأرسل أحد عيونه إلى معسكر الخوارج وحمل معه كتابًا فيه ألف درهم مكتوب فيه« أما بعد.. فإن نصالك قد وصلت إليّ، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها، وزدنا من النصال»، ووقع الكتاب والألف درهم في يد قائد الخوارج قطرى بن الفجاءة، فأمر بقتل الحداد «أبزي» ظنًا منه أنه خائن، وأنه أمدّ المهلب بن أبي صفرة بالنصال المسمومة، وكان قتل «أبزي» سببًا في

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

حدوث انشقاق بين صفوف قادة الخوارج، حيث تمرد عبد ربه الصغير على القائد قطري بن الفجاءة لهذا السبب[1] .

وعلى الصعيد الخارجي نجد أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان نفذ عملية تضليل ناجحة من خلال عيونه البواسل ضد القيادة البيزنطية، التي كانت شديدة العداء للإسلام والمسلمين. أراد بها الإيقاع بين القائد البيزنطي والبطريق، فأرسل معاوية كتابًا كأنه جواب أو ردّ على كتاب سبق وأن أرسله البطريق، يتضمن ثقته في خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان، وأنه سوف يعمل في خدمته وضد الدولة البيزنطية، وتعمّد جاسوس معاوية أن يقع الكتاب في أيدي الجهات المسئولة حتى يصل إلى القائد البيزنطي، وبالفعل وقع الكتاب في يد القائد، وعلم منه بعد قراءته أن البطريق يتعاون مع الخليفة معاوية، وأن البطريق عين للمسلمين ضد الدولة البيزنطية، فأصدر القائد على البطريق الحكم بالإعدام بتهمة الخيانة والتآمر لحساب المسلمين[2] .

ومن عمليات التضليل الناجحة لصالح المسلمين ضد الأعداء أن يقوم بالعملية فردٌ من أفراد الأعداء عن طريق التحالف غير المكشوف، فقد نجح الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في أن يكسب إلى جانبه أحد الزعماء الأرمن، الذي كان يعمل لمصلحة الدولة البيزنطية، واستخدمه الخليفة الوليد بن عبدالملك كورقة تضليل ضد العدو البيزنطي، أثناء تنفيذ العمليات في ثغر من ثغور المصيصة يسمى « الطوانة» عام ٨٦هـ ، وقد اتفق معه أن يكتب إلى الملك البيزنطي بأن المعلومات المتوفرة إليه تشير إلى أن الخزر وغيرهم من ملوك الجبال في القوقاز قد اتفقوا على مهاجمة الأراضي البيزنطية[3] .

وكان هدف الخليفة الأموي هو تخفيف الضغط على القائد مسلمة بن عبد الملك

---

(١) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب ٣ / ٣٨٢، ومحمد بن محمد بن نباته ، شرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون، طبعة بولاق ا لمطبعة الأميرية – القاهرة ١٢٧٨هـ ص ٣٤ .

(٢) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب ٢ / ١١٣ – ١١٤ .

(٣) عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤ / ٥٣١ .

بالمنطقة وذلك عَبْرَ سحب بعض القطاعات البيزنطية من هذه المدينة لمواجهة الخطر الجديد القادم من قِبل الخزر وملوك الجبال في القوقاز، وقد تم ذلك بالفعل، وتعد هذه العملية عملية ناجحة في تضليل العدو وجعله يصدق ويقتنع بأن هناك عدوًّا جديدًا سوف يهاجمه، وعليه أن يسحب بعض قواته من أمام المسلمين لمواجهته، لقد تم ذلك من خلال حليف مضمون وغير مكشوف، ضمن أعلى درجات العمل الجاسوسي، الذي خدم مصلحة الدولة الإسلامية بتعاون من أحد أفراد الأعداء.

كما نفذ القائد قتيبة بن مسلم عملية تضليل بارعة أيضًا، أثناء صراعه مع القيادات التركية فيما وراء النهر من أهل سمرقند والشاش، فأشاع في معسكره بأنه سيقوم بتزويج ابنه في يوم محدد، وطلب من رجاله أن تتخذ الإجراءات اللازمنة لهذا الفرح. وفي نفس الوقت أرسل هذا الخبر مع عيونه من الترك إلى سمرقند والشاش، وعندما وصل الخبر إلى القيادة التركية حاولت هذه العيون إقناع القيادة التركية بانتهاز الفرصة لمهاجمة قتيبة بن مسلم أثناء الاحتفال بيوم زواج ابنه، ولإتمام عملية التضليل استمر قتيبة بن مسلم في إعداد مراسم الفرح، وانتظر حلول الظلام، وكان بينه وبين قوات العدو في سمرقند ستون كيلو متر، وعندما حلّ الظلام قاد قتيبة وحدة من ألف فارس، وكمن بها على روابي الطريق الذي ستسلكه قوات الترك المعادية، وعندما جاء العدو هاجمه قتيبة ورجاله بغتة، فحلت في صفوفهم الهزيمة، واتجه قتيبة بعد هذا النصر نحو المعسكر الرئيس للترك، وظن قادة الترك بالمعسكر أن القوات القادمة هي قواتهم قد عادت بعد أن انتصرت على قتيبة بن مسلم، فلم يأخذوا استعدادهم، فتمت إبادتهم، لاسيما وأن الوقت كان ليلاً[1].

بالنظر في هذه الرواية نلاحظ كيف استطاع القائد المسلم قتيبة بن مسلم أن

(١) محمد الإسكافي، لطف التدبير، تحقيق أحمد عبدالباقي، طبعة مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٤م ص ٤٦ .

يستخدم العيون التركية مستعينًا بها على القادة الترك، وإخداعهم وتضليلهم حتى حقق هدفه ودمرّ معسكر الأعداء.

إن تزويد العدو بالمعلومات المضللة، التي تجعله يبني خططه عليها ضد المسلمين، لمن أبرع وأروع استخدام القادة المسلمين للعيون ذات الكفاءة التي تقوم بواجبها على خير وجه، وهذا ما قام به القائد المسلم الجراح بن عبد الله الحكمي في زمن الخليفة يزيد بن عبدالملك سنة ١٠٤هـ أثناء تولية الجراح على «أرمينية»، وقد أمده الخليفة يزيد بن عبد الملك بجيش كثيف وأمره بغزو الخزر. فقام الجراح بعملية تسريب متعمدة لخطة مفتعلة غير واقعية للتصدي للعدو إلى خلفاء العدو وعيونه، ووصلت المعلومات إلى قادة الخزر وبنوا خططهم عليها على أن الجراح سوف يهجم بعد فترة، ولكن الجراح فاجأهم بالهجوم في نفس الليلة، مما جعل العدو يرتبك ويقرر الانسحاب، ودخل جيش المسلمين مدينة «الباب والأبواب» وغنم المسلمون الكثير[1] هكذا نجح القائد المسلم في تسريب المعلومات إلى العدو، كما يدل هذا العمل على مدى براعة العيون المسلمة التي عرفت أن للعدو عيونًا في المسلمين وحلفاءهم يقومون بتوصيل المعلومات والأخبار للعدو، ورغم ذلك استخدمهم القائد المسلم لصالح المسلمين، وتركهم يعملون تحت مراقبة شديدة وذكية، وتزويدهم بالمعلومات المضللة، أفضل من القبض عليهم، وهذا ما حدث مع الجراح بن عبدالله الحكمي، لقد أجاد فن الخداع، الذي تضمنه حديث رسول الله ﷺ: «الحرب خدعة»[2].

القيام بمجموعة أعمال بقصد التأثير على الروح المعنوية وعواطف وأفكار وسلوك العدو: هذه الأعمال هي حرب هجومية يخوضها أفراد بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم قوة المقاومة المعنوية بين صفوف العدو وبين أفراد شعبه، بما يحقق للدولة الأموية أهدافها[3].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥ / ١١١.

(٢) الحديث صحيح، أخرجه الشيخان البخاري كتاب ٥٦ باب ١٥٧، ومسلم عن طريق أبي هريرة رضي الله عنه كتاب ٣٢ حديث ١٧ - ١٨.

(٣) محمد جمال الدين محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ١٢.

هذا الأعمال المنوطة بالعيون والجواسيس قد أطلق عليها حديثًا «الحرب النفسية» هذا المصطلح الذي وُضع ليدل على ذلك المضمون وليكون عنوانًا معبرًا عنه، وكان أول استخدام حديث له في عام ١٩٤١م، ولكن القيام بمضمونه وممارسته موجود منذ بدايات الصراع الإنساني - وما نتعرض له الآن مرتبط بالعصر الأموي حيث كانت العيون والجواسيس تقوم بها على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد الخارجي.

فعلى الصعيد الداخلي نجد أن الصراع مع التيارات السياسية المعارضة، لم تستخدم فيه الوسائل العسكرية والفكرية فحسب، وإنما أضيفت إليها ما يسمى بالحرب النفسية عن طريق توجيه الخُطب والكلمات للأفراد تحمل في طياتها التهديد والتحذير، وتحطيم المقاومة المعنوية مثل ما قاله عثمان بن حيّان المرّي عندما ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك المدينة في سنة ٩٤هـ فخطب في أهل المدنية يهاجم أهل العراق، ويهدد ويحذر أهل المدينة من أن يأووا أحدًا من أهل العراق فقال: أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق... والله ما جرّبت عراقيًا قط إلا وجدتُ أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول... وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم، فإني والله لا أوتي بأحد آوى أحدًا منهم، أو أكْراه منزلاً، ولا أنزله إلا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله... فإني قد بعثت في مجالسكم مَنْ يسمع فيبلغني عنكم، إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم، فدعوا عيب الولاة، فإن الأمر إنما ينقض شيئًا شيئًا حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء، والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد[1].

نلاحظ من خلال هذه الرواية أن القادة الأمويين ترد على المنشقين والمتسببين في الفتن، فتتهمهم بشق وحدة الأمة، وإيجاد جو من الفتنة الدائمة، وبيان أن ما يقومون به من أعمال لا شرعية في الخفاء يصل إلى أسماعها.

كما كانت القيادة الأموية تلجأ عندما يشتد الصراع العسكري مع بعض

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٥-٤٨٦.

القوى المعادية إلى قيام عيونها وجواسيسها بتسريب أبناء استعداد القيادة الأموية للعفو عمن يصنع السلاح ويترك جانب المعارضة، مما يجعل عناصر المعارضة في حالة معنوية تفتّ في عضدها، ويفرون من حول قيادتهم، وهذا ما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٧٧هـ عندما بعث إلى العمال في«الأنبار» بأن يدسّوا إلى أصحاب شبيب الخارجي أن من جاءنا منهم فهو آمن، فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممّن قد هدّه القتال يجيء فيُؤمّن، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هُزموا: إن مَنْ جاءنا منكم فهو آمن، فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه[١] .

لقد نجح الحجاج الثقفي في هذه الحرب النفسية التي شنّها على شبيب الخارجي، واستطاع أن يؤثر في أصحابه، ويبعدهم عنه ويفت في عضد شبيب ورجاله.

وعلى الصعيد الداخلي أيضًا كانت حركات المعارضة ضد الأمويين تقوم بنشر الشائعات ضمن الحرب النفسية المتبادلة، فأشاعت نبأ وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان ردّ الحجاج على هذه الحرب ردًا قويًا فوريًا فصعد المنبر وقال: إن أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا: مات الحجاج، وما مات الحجاج فَمَهْ[٢] ، والله ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت وما رضي الله الخلود لأحد من خلقه في الدنيا إلا لأهونهم عليه، وهو إبليس، والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾[٣] ، فكان ذلك، ثم اضمحل فكأن لم يكن، ياأيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، كأني بكل حيّ ميتًا، وبكل رطب يابسًا[٤] .

استطاع الحجاج أن يوئد الشائعات في مهدها، فشدد الخناق في خطبته،

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٢٧٧ .
(٢) مَهْ: اسم فعل أمر مبني على السكون بمعنى «كفّ».
(٣) سورة ص الآية (٣٥).
(٤) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ٣ / ١٧٣ .

كما يشدده على الخوارج من قبل، وكأن هذه الشدة هي التي دفعت هؤلاء لبث هذه الشائعة بموت الحجاج الثقفي تلك الشائعة الخطيرة.

وضمن هذه الحرب النفسية على الصعيد الداخلي التي كانت تقودها القيادة الأموية عن طريق العيون والجواسيس، ما تقوم به تلك العيون نحو خصومها من دعايات ساخنة عن حجم القوات وتسليحها وكفاءة قيادتها، كما حدث عند تقدم أجناد الشام نحو مسكن للالتقاء بيزيد بن المهلب، وهو ما دفع يزيد إلى محاولة الرد على هذه الدعاية بقوله: «إني أسمع قول الرعاع، جاء مسلمة، وجاء العباس وجاء أهل الشام...»[1]، كان لهذه الدعاية تأثير كبير على معنويات الجماعات المختلفة الأهواء، التي دعمت بشكل عفوي حركة تمرد يزيد ابن المهلب.

كما لجأت السلطات الأموية إلى مثل هذه الأعمال في خراسان عندما أخذ يشتد عود التنظيم العباسي، وظهر إلى العلن حركة سياسية عسكرية، إلى اتهامهم بالخروج على الإسلام، وبعبادة «السنانير والرؤوس»[2]. وبأنهم لايصلون، وباستحلالهم الحرام، وبأنهم مجوس، ولكن هذه الشائعات التي أطلقها عيون الأمويين أحدثت قلقًا شديدًا في صفوف الحركة العباسية العسكرية مما جعل أبو مسلم الخراساني يرد على هذه الشائعات بما يثبت أنهم على الإسلام، وأنهم يصلون، ولا يستحلون الحرام، وأنهم مسلمون موحدون، فقام أبو مسلم الخراساني بالمحافظة على أسير أموي أحد قادتهم تمّ أسْرُهُ في معركة «آلين» عام ١٢٩هـ، ومعالجته رغم إصابته بجروح خطيرة، حتى تحسنت صحته وعامله أبو مسلم معاملة طيبة تثبت أنهم مسلمون، وكانوا يقيمون شعائر الدين الإسلامي، ويحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرّم الله أمام هذا القائم الأسير

---

(١) ابن أبي الحديد عبدالحميد بن هبة الله ت ٦٥٦هـ، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩م، ١ / ٢٤٢.

(٢) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ، بعناية بطرس عزيار بنويبج، موسكو، أكاديمية العلوم السوفيتية، معهد الدراسات الشرقية ١٩٦٠م ص ٦٥.

الأموي، ثم سمح له بالعودة إلى الأمويين لكي يكون شاهد عيان على إسلام القوم، ولكي يبطل ادعاءات السلطة الأموية[1].

أما على الصعيد الخارجي أي على جبهة الأعداء فنلاحظ أن القادة الأمويين لجؤوا إلى الحرب النفسية ضد رسل ملك الترك الذين أرسلهم إليه يهددونه بالحرب، أو بدفع الجزية، حيث أعطاهم صورة واقعية، نفذها أمامهم مع حاشيته، عن رجال لا يضرهم الحرّ الشديد، ولا البرد القارص، فرجعوا مرعوبين وتراجعوا عن تهديداتهم، وقد حدث هذا من عبد الله بن حازم، أحد قادة العرب في خراسان وعاملها ابن الزبير، حيث لجأ إلى هذه العمليات- الحرب النفسية - ضد رسل ملك الترك، حيث أرسل الترك قومًا إلى عبدالله بن حازم، وقيل إلى موسى بن عبد الله بن حازم، ليعلموا علمه ويعرفوا أخباره، فلما قدموا قال موسى لأصحابه: لابد من مكيدة هؤلاء، مكيدة تقذف في قلوبهم الرعب، وتجعلهم في خوف منا، قال موسى ذلك في وقت كان الحرّ فيه شديدًا، فأمر موسى بنار قوية فأججت، وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء، ولبسوا فوقها لبودًا، ومدّوا أيديهم إلى النار كأنهم يصطلون، وأذن موسى للترك فدخلوا، ففزعوا مما رأوا، وقالوا: لم صنعتم هذا؟ قالوا: نجد البرد في هذا الوقت، ونجد الحرّ في الشتاء، فرجع الترك وقالوا: جنٌ لا نقاتلهم[2].

ومن العمليات التي على الصعيد الخارجي، أن طارق بن زياد فاتح بلاد الأندلس بعد أن تحقق له النصر أراد أن يشيع في قلوب الأندلسيون الأعداء الرعب والهلع، وكسر الروح المعنوية عندهم، فأمر رجاله أن يذبحوا رجلاً من الأعداء، ثم يقطعّ ويُطبخ، ثم أتوا بمجموعة الأندلسيين ينظرون ماذا يحدث لرجل منهم من ذبح وقطع وطبخ، وفي نفس الوقت كان رجال طارق قد طبخوا لأنفسهم طعامًا ولحمًا حلالاً، ثم في سرية تامة رموا لحم الأندلسي في مكان غير معلوم، ودون أن يراهم أحد، ثم أحضروا بعد ذلك الطعام واللحم

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٣٥٨ - ٣٥٩ .
(٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

الناضج ليأكلوا فظن الأندلسيون أن هذا الطعام، وهذا اللحم هو لحم الرجل الأندلسي ففزعوا وفرّوا جميعًا وأخبروا أهل الأندلس بم رأوا، وقالوا: إن طارق ورجاله يأكلون لحم الناس وأخبروهم يذبح وقطع وطبخ وأكل هذا الرجل[1] .

هذه العملية وقعت على الأندلسيين وقعًا معنويًا مؤلمًا، وأثارت في نفوسهم الرعب والخوف.

التفاوض مع العدو: كان التفاوض مع العدو من المهام المنوطة بالعيون والجواسيس في العصر الأموي، وقد شهدت في هذا العصر تطورًا كبيرًا من خلال المساحة التي أخذ يشغلها هذا الأمر، وهذا النوع من العمل سواء على الصعيد الداخلي مع الخصوم داخل دار الإسلام، أو على الصعيد الخارجي مع الخصوم في دار الحرب.

فعلى الصعيد الداخلي في ليلة معركة «الخازر» بين الزاب الأعلى والموصل بين أجناد الشام بقيادة عبيدالله بن زياد، وبين أجناد المختار الثقفي بقيادة إبراهيم بن مالك بن الأشتر في سنة ٦٧هـ نجد العيون والجواسيس التابعة لعمير بن الحباب السلمي أحد قادة جند الشام، مهدت للقاء سريّ بين عمير بن الحباب السلمي وبين إبراهيم بن مالك بن الأشتر، وذلك من وراء قائد أجناد الشام عبيدالله بن زياد، حتى تم لقاء عمير بن الحباب بإبراهيم بن مالك ليلاً فبايعه وأخبره أنه على ميسرة عبيدالله بن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس[2] .

من خلال هذا الموقف نلاحظ أن التفاوض بين كلا القائدين تمّ عن طريق العيون والجواسيس، وبترتيب منهم، وكان نتيجة هذا التخطيط وهذا اللقاء كارثة كبيرة على أجناد الشام، إذ حكم عليهم من قبل بدء الحرب بالهزيمة أمام جيش إبراهيم بن مالك بن الأشتر، وأن نتيجة المعركة لمصلحة إبراهيم بن مالك.

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص٢٠٦، ومحمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، طبعة بيروت ١٩٥٨م ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٥ / ٢٤٨ - ٢٤٩، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٨٦ - ٨٧ .

كما استطاع الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان أن يستفيد من العيون والجواسيس في مبادرات رائدة له في مجال المفاوضات مع الخصوم داخل دار الإسلام، فقد اتصلت عيونه مع محمد بن الحنفية عندما بلغت العلاقات بين محمد بن الحنفية ومصعب بن الزبير طريقًا مسدودًا بلا عودة، فاستغل عبدالملك ابن مروان هذه الظروف، ودعا ابن الحنفية إلى القدوم إلى الشام، وذلك بشروط سخية أهمها أنه غير ملزم بالبيعة له حتى تجتمع الأمة على رجل واحد، وإن كان عبد الملك بن مروان قد تراجع عن هذا التعهد المختص بالبيعة عندما وصل محمد بن الحنفية إلى الشام، وقد اتخذها عبدالملك بن مروان وسيلة من وسائل الضغط عليه[1] .

نلاحظ أن هذا الأمر وهذا التفاوض وهذه السيطرة على محمد بن الحنفية قد تم بحكمة وروية وتخطيط سليم نتيجة قيام عيون عبدالملك بن مروان بمهمتها على أكمل وجه في التفاوض بينه وبين محمد بن الحنفية .

ومن مبادرات الخليفة عبدالملك بن مروان في هذا الأمر أنه اتصل عن طريق عيونه وجواسيسه بالأحنف بن قيس عندما حدثت الجفوة بين الأحنف وبين مصعب بن الزبير، واستطاعت عيون الخليفة عبدالملك بن مروان بالعراق نقل رسائل بين الطرفين، حصل خلالها الخليفة عبدالملك على موافقة من الأحنف متمثلة في عدم وجود رغبة بين أهل العراق للوقوف بوجه عبدالملك دفاعًا عن مصعب بن الزبير[2] .

يبدو أن تسرب هذه الأخبار أو هذه الاتصالات السرية، هي التي دفعت الأحنف ابن قيس - رغم شهرته بالحكمة والدهاء - إلى التنديد العلني بمبادرة عبد الملك للاتصال به ، كدخان يغطي به هذه الاتصالات[3] .

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥ / ٧٨ ، وابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤ / ٢٥٢ .

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، طبعة دار الاعتصام، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٠٦ .

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف الورقة ٨٧٦ .

فلننظر إلى كفاءة أداء العيون ما عليهم من واجبات بكل دقة، حتى يتم تحقيق الهدف المأمول الوصول إليه.

كما لعبت عيون الخليفة عبدالملك بن مروان دورًا بارزًا في التفاوض مع معظم قادة مصعب بن الزبير في العراق، من خلال طرح الإغراءات السخية والاستجابة لكل طلباتهم[1]، وعندما قدم إلى «مسكن» - وهذا الموضع القريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق نجد أنه كان قد حسم نتيجة المعركة التي لم يكن أحد من أهل المصرين الكوفة والبصرة، مستعدًا لبذل قطرة دم واحدة من أجل مصعب بن الزبير، ونجح عبدالملك بن مروان عن طريق عيونه وجواسيسه في الإطاحة بعامل خراسان لعبد الله بن الزبير، عبدالله ابن خازم السلمي، من خلال الاتصال بأحد منافسيه، وهو بكير بن وشاح، بعد أن فشل في إقناع ابن حازم بمبايعته، بعد مقتل مصعب بن الزبير في منطقة «مسكن»[2].

من خلال ما سبق نجد أن توفر الكتمان وكفاءة الأداء لدى العيون والجواسيس الأموية هي التي قادت هذه العملية كغيرها إلى النجاح.

وفي عام ١٣١هـ كان حصار نهاوند على يد قحطبة بن شبيب الطائي ثلاثة أشهر، ثم أرسل قحطبة بن شبيب عيونه للتفاوض مع أهل خراسان وأهل الشام المحاصرين بداخل نهاوند، فأبى أهل خراسان التفاوض مع عيون قحطبة بن شبيب، أما جند الشام فقد قبلوا ودخلوا في الأمان، وكان النضر بن حميد اللخمي قائدهم، وهو الذي يتولى أمر التفاوض مع عيون قحطبة، فبعث أهل الشام إلى قحطبة يسألونه أن يشغل أهل المدنية حتى يفتحوا له الباب وهم لا يشعرون، ففعل ذلك قحطبة وشغل أهل المدينة بالقتال، ففتح أهل الشام الباب الذي كانوا عليه، وغادر أهل الشام للمدينة بسلام[3] وبذلك دارت الدائرة على من بداخل المدينة ومن رفض التفاوض، وانتهت العملية بنجاح تام.

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ص ٣١١، ومحمد بن جرير الطبري ٥ / ١٥٦.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة ص ٢٩٤ - ٢٩٥، والبلاذري، فتوح البلدان ص ٥١٢، واليعقوبي، بلدان الخلافة ص ٢٩٩، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ١٧٦.

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٤٠٨.

وعلى الصعيد الخارجي نجد أن قتيبة بن مسلم الباهلي قد اعتمد على أحد عيونه وجواسيسه الذين قد نالوا ثقة الترك وهو سليم بن عبد الله الناصح في إدارة تفاوضل ناجح من نيزك طرخان أحد ملوك الترك، والذي أعلن تمرده في منطقة طخارستان، وتحالف مع بقية ملوك الترك لقتال قتيبة، فانطلق سليم بن عبدالله الناصح إلى نيزك طرخان، واحتال عليه سليم بن عبد الله وأفهمه أن قتيبة قد امتلأ منه غيظًا، وأنه إذا ذهب إليه وضع يده في يد قتيبة فإنه سوف يستحي منك ويعفو عنك، واستمر سليم في مفاوضاته وحيلته على نيزك حتى وصل به إلى قتيبة واستسلم نيزك بدون قيد أو شرط لينال جزاءه العادل وهو القتل[1] .

كما قام قتيبة بن مسلم بتكليف أحد عيونه وجواسيسه الدهاة وهو حيان النبطي لكي ينسف تحالفًا بين ملك الصغد طرخون، مع ملوك الترك مثل خنك خداه، ووردان شاه، وكور مغنانون، وشكلوا خطرًا قويًا فيما وراء النهر، فأرسل حيان النبطي أحد عيونه إلى ملك الصغد، واتفق معه على موعد اجتماع، تم ترتيبه على أقصى سرعة، وفعلاً عقد اللقاء أثناء احتدام المعركة بين قتيبة والترك، حيث نقل حيان بصفته ناصح أمين وليس رجلاً يعمل لصالح قتيبة رسالة خاطئة مضللة تحذر ملك الصغد من استيلاء ملوك الترك على بلاده، وأن الصلح مع قتيبة يُبْقى له ملكه، وعمل حيان في الوقت نفسه على إيجاد مخرج لملك الصغد للتخلص من حلفائه، بشكل ودّي عبر تحذيرهم من قوات قادمة من الحجاج بن يوسف الثقفي، سوف تقوم بتطريقهم فهربوا، وبذلك أُنقذ قتيبة من تحدّ غير مضمون النتائج[2] .

وأثناء ولاية يزيد بن المهلب على خراسان قام حيان النبطي بمهمة أو بعملية إلى منطقة طبرستان، والتي عانت من صعوبات كثيرة حيث اتصل بأصبهذ

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٨٦، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٥٥ - ٤٥٨ ، وابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٧ / ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٤٠٨ .

طبرستان، وأقنعه بأنه من أجله أيضًا بعد أن خوفه من قوة المسلمين، ومن وصول إمدادات جديدة من الشام قريبًا فوافق على الصلح، ومن الملاحظ أن حيان لكي يظهر نفسه أنه يفاوض لمصلحة أصبهذ، أعلمه أن الموقف العسكري السيئ ليزيد، سوف يساعده على الموافقة على الصلح، وأنه سيقنعه بذلك[1].

إن مثل هذه الأعمال الشاقة تحتاج إلى صبر وجلد وتضحية وإيمان.

عمليات الردع الخاصة تجاه العدو: من المهام المنوطة بالعيون والجواسيس تلك العمليات التي تهدف إلى تصفية القيادات المعادية، التي فشلت كافة الوسائل السلمية في تحييد أنشطتهم السياسية والعسكرية، التي باتت تشكل خطرًا على الدولة الإسلامية، وامتازت بأهدافها الصعبة والمتميزة، ومسرحها الجغرافي المتنوع خلال العصر الأموي.

من بين عمليات الردع هذه: خطف قائد بيزنطي من القسطنطينية إلى دمشق، خطط لها الخليفة معاوية بن أبي سفيان وأشرف على تنفيذها أيضًا، بالتعاون مع أحد قادته في ميناء صور، بهدف ردع القيادة البيزنطية، وبيان مدى كفاءة العيون والجواسيس الإسلامية التي تستطع مدّ ذراعها إلى داخل الدولة البيزنطية وخطف قائد من قياداتها، لقد اختار الخليفة معاوية بن أبي سفيان لتنفيذ هذه العملية أحد قادته المشهور بعملياته البحرية الكثيرة، وله كفاءة عالية في الحديث باللغة اليونانية والقدرة على التنكر والاختفاء، وقوة الخداع، حيث تمثل هذا القائد المسلم شخصية تاجر واشتراء بضائع كثيرة وتجهيز سفينة ذات كفاءة في الإبحار، واتجه بها إلى جزيرة قبرص، وأظهر أمام قائد الجزيرة، أنه تاجر قدم بهدية إلى الملك البيزنطي، تتضمن جارية خاصة مع هدايا ثمينة لحاشيته، وأنه يريد الإذن بذلك، فاتصل القائد بالقسطنطينية وحصل على الإذن المطلوب للتاجر العربي، فأبحر إلى القسطنطينية، وقابل الملك البيزنطي وأعطاه الهدايا وأعطى الحاشية أيضًا، ثم قام بعمليات بيع وشراء وتجاهل هذا التاجر القائدَ البيزنطي المطلوب، وذلك حسب الخطة المتفق عليها مع الخليفة معاوية بن

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٥ - ٤٨٦.

أبي سفيان، ثم عـاد التاجر إلى الشام، وقد طلب منه الملك البيـزنطي وبطارقته وكثر من أهل القسطنطينية طلبات من دار الإسلام هم في حاجة إليها من بضائع ومفروشات وغير ذلك، ثم التقى التاجر بالخـليفة معاوية، وأعطاه تقريرًا مفصلاً عن الزيارة الأولى إلى القسطنطينية وتجاهله للقائد البـيزنطي المستهدف، ثم جهز كل ما طُلب منه وعـاد إلى القسطنطينية في الزيارة الثـانية وقد أحضـر معه كل المتطلبات التي طلبت منه للمـلك البيزنطي وحاشيـته وغيرهم، ثم قـابل التاجر العربي القائد البيزنطي المستهـدف، واعتذر له على أنه لم يسبق له التعرف عليه في الزيارة الأولى، وعوضًا عن ذلك أجزل التاجر الهدايا لهذا القائد، ثم جعله المشرف على إدارة أعـماله في القسطنطينـية طيلة مدة إقامـته فيـها، وهنا رحب القائد البيزنطي المستهدف بهذا العمل مع التاجر العربي وتوطدت العلاقة بينهما، وأخبره أن الأمر أصبح في غاية السّـرية؛ لأنه كتاجر عربي يخشى أن يعلم عند الخليفة معاوية أن يتاجر في القسطنطينية مع أعدائه، واستطاع هذا التاجر العربي أن يخدع القـائد البيزنـطي بأنه يعمل من وراء الخليفـة العربي المسلم، فـاطمأن البيـزنطيون لهذا التـاجر، وتكررت الزيارات إلى القسـطنطينية والتاجـر العربي منتظر الفرصة لكي يخطف هذا القائد البيزنطي من داخل القسطنطينية، ويذهب به إلى الشـام، وفي ذات المرات من الـزيارة طلب القـائد البـيـزنطي بسـاطًا ذا مواصفـات خاصة من التاجر الـعربي، فرحب التاجر بهـذا الطلب، وبناء عليه استطاع التاجـر أن يضع الخطة مع الخليفة معـاوية هذه المرة بخطف هذا القائد، وبالفـعل أحضـر التاجـر بساطًا غـاية في الروعة والجـمال، وحـمله معـه إلى القسطنطيـنية، وجعل السـفينة ترسو بالقـرب من قصر الـقائد البيـزنطي وفرش التاجر البـساط على السفينة، فكان غاية الانبهـار، وذهب إلى القائد ودعاه إلى رؤية البساط وهو مفروش أعلى السفينة. فأقـبل القائد ومعه حاشيته ونزلوا إلى السفـينة واستقروا على الـبساط، في نفس الوقت كانت الـسفينة تسيـر بالشراع والشراع مطوي فهى راسية واقفة، والقـائد مطمئن من أن السفينة في حالة ثبات واستقـرار؛ لأن الشراع مطوية، ولكن هذه السفـينة المجهزة بأمور أخـرى كانت

تعمل وتسير بمجاديف سرية غير ملحوظة، وعندما استقر القائد وحاشيته، أعطى القائد إشارته إلى رجاله أن يستخدموا المجاديف السرية بعد القبض على القائد وحاشيته وإخفائهم داخل السفينة، ثم انطلقت بهم إلى الشام، وبعد سبعة أيام من الإبحار وصلت السفينة إلى ساحل صور، وحمل إلى دمشق، ووجد القائد البيزنطي نفسه وحاشيته أمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان الخليفة العربي المسلم، عندها أخبره الخليفة أنه في يوم من الأيام أهان عربيًا مسلمًا، وكان لابد من حملك من داخل القسطنطينية إلى هنا حتى نريكم أننا نستطيع أن نصل إلى عقر دياركم في القسطنطينية ونأتي بمن نريد منكم إلى هنا، عندها شعر القائد البيزنطي بإمكانيات الدولة الإسلامية، وبراعة رجالها وعيونها، ثم بين لهم الخليفة معاوية أن الإسلام قيد الرحمة وقيد العفو، وأننا قادرون على معاقبتكم، ولكننا نقابل السيئة بالحسنة، ثم أعطاهم الخليفة الهدايا الثمينة والبساط الذي طلبه القائد البيزنطي، ثم حمله رسالة إلى الملك البيزنطي تتضمن أن الدولة الإسلامية قادرة على معاقبة مَنْ يُسيئ إليها، ولو كان في القسطنطينية، ثم عاد القائد البيزنطي وحاشيته إلى القسطنطينية، فكان رد فعل البيزنطين مزيداً من الاحترام المشوب بالخوف من الخليفة المسلم معاوية بن أبي سفيان، ومن إمكانيات الدولة الإسلامية ودهاء قادتها وقدرة عيونها وجواسيسها على تحقيق أهدافها[1] .

من بين هذه العمليات أيضًا: عملية مروان بن محمد: عندما كان عاملاً على أرمينية وأذربيجان في القوقاز قام بحصار قلعة خيزج[2] وكانت هذه القلعة مفرًا لملك السرير، حيث حاصرها مروان بن محمد لمدة سنة دون أي جدوى بسبب حصانة هذه القلعة، مما دفع مروان بن محمد إلى التفكير في عملية ردع قوية تغيّر مسار الأمور تمامًا، إما بدخول هذه القلعة والسيطرة عليها، أو أن

---

(١) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب ٦ / ١٥٨ - ١٨٧ .

(٢) قلعة خيزج: هي قلعة في جبال القوقاز ما بين بلاد اللاز، وباب الأبواب، انظر في ذلك ياقوت الحموي، معجم البلدان ٣ / ٢١٨ - ٢١٩ .

يطلب أهلها الصلح، فـفكر مروان بن محمد في ذلـك ووضع خطة مفادها أن يتنكر مروان بن مـحمد في هيـئة رسول من قـبل مروان بن محـمد إلى ملك السـرير، ويحمل مـعـه رسالة إلى الملك، وعندمـا يؤذن له بالدخـول من أجل مقابلة الملك، فإنها ساعتها يتـحسس نقاط الضعف في القلعة، وبالفعل استأذن مروان بن محـمد عند ملك السرير على أنه رسول من قبل مروان بـن محمد، وأحمل منه رسالة لكم مفادها: «أمـا بعد.. فإني قد حلفت أني لا أنصرف أو تسالمني آخر الدهـر، فإن رأيت أيها الملك أن تأذن لي حتى أدخلهـا وأنظر إليها فعلت ذلك منـعمًا إن شـاء الله تعالى»، وقد سـمع ملك السرير لهـذا الرسول بالتجول في أنحاء القلعـة متعمدًا ذلك حتى يقنعه بتحـصينها وعندما يرجع إلى مروان بن محمد يخبره بصعوبة فـتحها، إلا أن هذا الرسول استطاع تحديد نقاط الضعـف في هذه القلعة، ثم عـاد بعد ذلك إلى المسلمين، وبعـد أن وصل هذا الرسول الذي هو في الحـقيقـة مروان بن محمـد كتب رسالة إلى ملك القـوقاز مفادها: أن مروان بن محـمد هو الرسول الذي أتى إليك أيها الملك، وأنه عرف نقاط الضـعف في القلعة، وأنه سـوف يدخلها إن شاء الـله حربًا، مما أدى إلى دفع الملك عرض الصلح وإجابة مروان إلى هذا الصلح[1].

مثل هذه العـملية تبين للعـدو أن القيادة الإسـلامية لـديها قوة ردع عـالية تستطيع استـخدامها، وتبين من خلالها للعـدو أن يدها الطولي تستطيع أن تمتد إلى داخل حصونهم، وهذا ما حدث بالفعل.

ومن بين هذه العـمليـات عـمليـة سـحيم بن المهـاجـر: استطاع الخليـفة عبدالملك بن مروان أن يخطط لعملية ردع على أعلى مستوى مستخدمًا فيها أكفأ عيونه وجواسيسه وعلى رأسهم سحيم بن المهـاجر ضد القائد البيزنطي وحاشيته تقضي هذه العملية بتصفيته والقضاء عليه تمامًا في عقر قصره، ففي عهد الخليفة عبدالملك بن مروان أرسل البيزنطيون أحـد قادتهم بجيشه لكي يهاجم الشام، مما اضطر عبدالملك بن مـروان مؤقتًا إلى الموافقة على الصلح مع الدولة البـيزنطية،

(١) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ٧٧ - ٧٨.

بعد أن سيطر البيزنطيون على أنطاكية والجبل الأسود، وسنير، وجبل الثلج والجولان[1].

ولكنه بعد أن استقرت الجبهة الداخلية عنده كلف رجلاً من رجاله وهو عين من عيونه اليقظة ومن المقربين إليه هو سحيم بن المهاجر[2] بتصفية القائد البيزنطي والقضاء على القائد البيزنطي والقضاء على أنصاره، اتفق عبدالملك بن مروان مع سحيم بن المهاجر على أن يقوم سحيم بدور المعارض لعبدالملك بن مروان ويلجأ إلى القائد البيزنطي ويعلن رغبته في الانضمام إليه، وأن لديه من الأسرار ما يخدم القائد البيزنطي ويضر بمصالح عبدالملك بن مروان، ويلحق الأذى الشديد به وبالدولة الإسلامية، وبالفعل استطاع سحيم أن يكسب ثقة القائد البيزنطي، وأصبح سحيم في كنف القائد البيزنطي، في الوقت نفسه استطاع سحيم أن يزرع العيون والجواسيس في مكان تواجده، واستطاع أن يجعل بينه وبين عبدالملك بن مروان اتصالاً، وظل هذا الأمر مستمرًا حتى حانت الفرصة لتنفيذ خطة التخلص من القائد البيزنطي ومن معه، وذلك بإعداد قوة في مكان قريب من مكان الملك البيزنطي، وعندما أتيحت الفرصة هجمت هذه القوة على الملك البيزنطي وقتلته ومن معه من البيزنطيين، وأعلن العفو عمن تبعه، فانضموا بسرعة إلى سحيم[3]، وبذلك استطاع عبدالملك بن مروان أن يزيح كابوس القائد البيزنطي، وأن يردع البيزنطيين ويلقنهم درسًا يبين لهم أن القيادة الإسلامية تستطيع تصفية القادة البيزنطيين في ديارهم.

اختراق تنظيمات العدو: من المهام المنوطة بالعيون والجواسيس في العصر

---

(١) ابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٦٧، وحسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، طبعة بيروت دار الجيل ١٩٨٧ ص٤٤، حيث يشير إلى أن جبل سنير هو جبل القلمون من جبال لبنان الشرقية.

(٢) سحيم بن المهاجر: من سكان مدينة طرابلس، ولي أمرتها لعبدالملك بن مروان، انظر: ابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٦٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٨٩ - ١٩٠، وأنساب الأشراف ٥ / ٣٠٠، وابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤ / ٣٠٤.

الأموي، اختراق التنظيمات المعادية والتوصل إلى الأخبار والمعلومات التي عن طريقها يتم وأد العمليات قبل بدئها أو في مهدها، فهناك العديد من العمليات التي تم اختراقها خلال العصر الأموي، وذلك لصالح القيادة الأموية بصرف النظر عن من هي الجهة المعادية أو المضادة، وذلك مثل عملية معقل مولى عبيدالله بن زياد، ضد مسلم بن عقيل بن أبي طالب بمدينة الكوفة، وكان والي الكوفة عبيد الله بن زياد في زمن الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقد كلف زياد بن عبيدالله عينًا من عيونه اسمه «معقل» وكان هدف هذه العملية كشف أمر مسلم بن عقيل مبعوث الإمام الحسين بن علي ﷺ، وذلك قبل وصول الإمام الحسين إلى الكوفة، وكان عقيل يمهد لوصول الإمام الحسين من خلال الاتصالات التي تتم بينهما، ولكن معقل الذي هو عين من عيون عبيدالله ابن زياد أراد اختراق مجموعة مسلم بن عقيل، حيث قدّم نفسه إلى مساعدي مسلم بن عقيل والمقربين إليه بأنه من المحبين لآل البيت، ودخل بينهم وذهب إلى مسجد الكوفة، وتقرب من مسلم بن عوسجة الأسدي،و كان أحد من يبايع للحسين، وأظهر له أنه رجل من أهل الشام، وفي النهاية بايعه وأخذ عليه العهود والمواثيق على الكتمان، وطلب إليه أن يلقاه في منزله، حتى تتاح له الفرصة للقاء رسول آل البيت إلى أن اصطحبه يومًا إلى مسلم بن عقيل وبايعه وأعطى معقل إلي مسلم بن عقيل ثلاثة آلاف درهم تبرعًا منه إليه لينفقها على الدعوة، حتى بلغت ثقة مسلم بن عقيل بمعقل، أنه كان لا يُحجب عنه، ويقضى النهار بطوله في مجلسه، وعرف كل أسرار تنظيم مسلم بن عقيل في الكوفة، كما عرف خططه المستقبلية، وكان معقل هذا يعود ليلاً إلى مقرّ عبيدالله بن زياد، فيقدم إليه تقريرًا يتضمن آخر التطورات المستجدة، إلى أن تم معرفة كل شيء مع اقتراب الإمام الحسين بن علي ﷺ، من الكوفة، وبعدها مباشرة تم القبض على مسلم بن عقيل ورجاله[1] . مما يدل على نجاح معقل في

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٣٦٢ - ٣٦٥، والأصبهاني: مقاتل الطالبيين ص ٧٠ - ٧١، والبلاذري: فتوح البلدان ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

اختراق تنظيم مسلم بن عقيل بالكوفة، ونجاح هذه العملية بكفاءة عالية قام بها عين من عيون القيادة الأموية.

ومن العمليات التي اخترقت التنظيمات المعادية بعيون أموية، عملية مملوك يوسف بن عمر الثقفي حيث كان في سنة ١٢٢هـ في زمن خلافة هشام بن عبدالملك، عندما دخل زيد بن علي الكفوة، ولم يعلم يوسف بن عمر الثقفي بدخوله، فكتب الخليفة هشام بن عبدالملك إلى يوسف يشتمه ويجهله ويقول له: إنك لغافل، وزيد في الكوفة يُبايع له فألحَّ في طلبه، فأعطه الأمان، فإن لم يقبل فقاتله، فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت وهو خليفته على الكوفة يطلبه، فطلبه فخفى عليه موضعه، فدس يوسف مملوكًا خراسانيًا، وأعطاه خمسة آلاف درهم، وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قام من خراسان حبًا لأهل البيت، وأن معه مالاً يريد أن يقويهم به، فلم يزل المملوك يلقى الشيعة، ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد، فخرج من عنده وأخبر يوسف على موضعه، فوجّه يوسف إليه الخيل للقبض عليه، وهذا مما عجل في إعلان زيد الثورة قبل موعدها، وكان سببًا في فشلها[1].

استطاع المملوك الخراساني أن يقوم بمهمته التي كُلِّف بها كعين من عيون القادة الأمويين، فاخترق صفوف زيد بن علي حتى توصل إلى معرفة المكان المختبئ فيه.

ومن العمليات التي اخترقت التنظيمات المعادية عملية قريظ بن حجاج في زمن خلافة مروان بن محمد الأموي، في الوقت الذي بدأت فيه أحداث الثورة العباسية نشاطها في خراسان، فأراد الخليفة مروان بن محمد أن يخترق هذه الأحداث بعين من عيونه وهو قريظ بن حجاج البصري، حيث غادر البصرة إلى خراسان وغيَّر اسمه، وتكنى بأبي العوجاء، وأصبح اسمه الحركي «عبدالكريم أبوالعجاء» واندس بين التنظيم العباسي بخراسان، ونال مكانة عظيمة فيه،

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١٨٨، وابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٥.

وأصبح موضع ثقة الكثيرين، ووصل درجة عالية في سلّم القيادة، حتى كلفه أبو مسلم الخراساني المسئول السياسي والعسكري للتنظيم في خراسان مع رجل آخر اسمه أبو حميد بالذهاب لمقابلة إبراهيم الإمام وهو إبراهيم بن محمد الإمام، وتوصيل رسالة هامة إليه، وعندما وصل الاثنان إلى «تدمر» تمارض أبو العوجاء، واحتفظ بالكتاب الذي يفترض بهما إيصاله إلى إبراهيم بن محمد الإمام، في حين أصر زميله أبو حميد على إكمال الرحلة إلى «الحميمة» بمفرده، بينما اتجه أبو العوجاء إلى «حران» مقر قيادة الخليفة الأموي مروان بن محمد، حيث قابل هناك سعيد بن عمرو السلمي أحد مساعدي الخليفة الذي أوصله إليه، فقدم له كتاب أبي مسلم الخراساني، وقد كافأ مروان بن محمد جاسوسه بسخاء وأمره بإكمال دوره إلى النهاية، حيث عليه أن يذهب إلى إبراهيم بن محمد الإمام، ويسلمه الكتاب، وعليه أن يتصل مباشرة بمروان بن محمد، ويبلغه بالتطورات أولاً بأول، وظل هذا العين حرًا طليقًا، لم يكتشف أحد أمره حتى بعد انتهاء الحكم الأموي عام ١٣٢هـ، غير أنه تم اكتشافه أثناء ولاية أبي جعفر المنصور على الجزيرة الفراتية، لأخيه العباس فتم إعدامه[1].

هذه العملية أثبتت فيها العيون الأموية أعلى كفاءة في الخداع والكتمان وتحقيق الهدف، رغم ما أحيط بها من مخاطر، وقد خطط لها الخليفة الأموي مروان بن محمد بعناية فائقة، ونفذت بصبر طويل.

مراقبة الجهاز الإداري: هذه المراقبة من المهام المنوطة بالعيون والجواسيس في العصر الأموي، فقد سار الخلفاء الأمويون على سيرة الخلفاء الراشدين في مراقبة العمال مسترشدين بمعطيات القرآن الكريم، الذي يؤكد على أن المنصب هو مسئولية، يثمر تشريفًا في الدنيا والآخرة، في حالة إقامة العدل، ويكون خزيًا في حالة الركون إلى الظلم واتباع الهوى، استنادًا لقول الله عز وجل:

---

(١) مؤلف مجهول، نبذة من كتاب التاريخ، الورقة ١٠٣ - ١٠٥، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٢٨٣.

﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] ، واستناداً إلى قول النبي محمد ﷺ : «ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد ريح الجنة»[2] .

لقد عُرف عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كغيره من الخلفاء بأنه شديد اليقظة كثير الحذر، والتعهد لعماله، حتى ولو كان ذلك العامل أخاه، فكان يعهد لأحد عيونه بمراقبة عماله، كما حدث مع أخيه بشر بن مروان عندما كان والياً على العراق بعد مقتل مصعب بن الزبير، حيث ترك معه روح بن زنباع الجذامي كعين على بشر هذا يراقبه ويقوّم أعماله، ويرسل التقارير إلى الخليفة في دمشق[3] .

وقد أخبرت عيون الخليفة عبدالملك بن مروان بأن أحد عماله قبل هدية، فأمر باستدعائه، وحقق معه، فاعترف بقبوله الهدية، وحاول تبرير فعلته دون جدوى، ولكنه عزل[4] .

وقد بلغ الخليفة عبد الملك بن مروان عن طريق عيونه أن الحجاج بن يوسف الثقفي قد أسرف في معاقبته المناوئين له، بعد دير الجماجم، وفي مكافأة الموالين له، أرسل إليه مهدداً محذراً[5] .

كما عُرف عن واليه الحجاج بن يوسف الثقفي مراقبته لعماله، حتى في تصرفاتهم الشخصية عندما بلغه عن مالك بن أسماء الفزاري شعراً فيه فحش، استدعاه وحقق في الأمر، وعندما ثبت الأمر عليه عزله[6] .

ومن بين هذه المراقبات ما مارسه الخليفة سليمان بن عبدالملك أثناء خلافته،

---

(١) سورة ص الآية ٢٦ .

(٢) الحديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤ / ٢٥٣ .

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ١١٠ - ١١٢ .

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين ، ٤ / ٨٩، والمسعودي، مروج الذهب ٣ / ١١٨ .

(٥) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ١٣٣ - ١٣٥ .

(٦) الحافظ الذهبي، تاريخ الإسلام ٣ / ٢٣٢ - ٢٣٣ .

وكان لا يتوانى في عزل مَنْ يُعرف عنه التقصير، كما حدث مع خالد القسري عامله على مكة، عندما أساء السيرة مع أهلها[١] .

كما حرص الخليفة عمر بن عبدالعزيز على أن يكون له عيون لمراقبة عماله وموافاته بالأخبار عنهم، فعندما وصلته أخبار من عيونه عن أن موظفي الخراج، في إقليم فارس يمارسون الظلم إزاء الفلاحين، من خلال تسعير منتجاتهم الزراعية، بطريقة غير عادلة فضلاً عن انعدام الأمن في الإقليم، أرسل مجموعة من أتباعه للتحقيق، وطلب من واليه عدي بن أرطأة عامل العراق التعاون التام مع هذه المجموعة[٢] .

كما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله على خراسان الجراح الحكمي، منددًا لاستخدامه العصبية القبلية، والتي أثارت حالة من التوتر بين التجمعات القبلية[٣] .

كما ندّد باستخدام أحد عماله لأهل الذمة، في المناصب الحساسة، لما في ذلك من تأثير سلبي على سير وتنفيذ السياسات العامة للدولة، لاسيما والعلاقات متوترة مع العدو البيزنطي[٤] .

كما عُرف عن الخليفة هشام بن عبدالملك أنه كان يُراقب تحركات أكبر ولاته وهو خالد بن عبدالله القسري، الذي يتولى حكم العراق والشرق من خلال عيونه وجواسيسه، وفي رسالة شديدة اللهجة أشار فيها إلى نمو ثروته الشخصية، استنادًا إلى وسائل غير مشروعة، وإلى أتباع أخيه أسد القسري، عامل خراسان للعصبية القبلية فيها، فضلاً عن استخدامه المفرط لأهل الذّمة،

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٥٢٢ .

(٢) الحافظ ابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٤٧ .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ٥٢٤ .

(٤) أبو عبدالله بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، طبعة بغداد لعام ١٩٧٧ - ١٩٧٨، ١ / ٣٣٨ . والطرطوشي محمد بن الوليد بن محمد، سراج الملوك، طبعة الإسكندرية، المطبعة الوطنية ١٨٧٢م ص ٢٥٥ .

على حساب نظرائهم من المسلمين، فضلاً عن محاولاته الدؤبة في إحاطة شخصه بهالة من التعظيم والتبجيل، مما يجعله نداً للخليفة، وحصوله على هدايا النودوز والمهرجان[1].

إن كل ما ورد من روايات ومواقف تدل على مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بمراقبة عمالهم عن طريق عيونهم وجواسيسهم، ومدى تنفيذ هذه العيون ما تم تكليفهم به من أعمال.

مراقبة القادة العسكريين: لم تغفل الخلافة الأموية عن مراقبة أداء القادة العسكريين في جبهات القتال، وهذا امتداد لما كان يمارسه الخلفاء الراشدون، نظراً إلى أن أي تهاون إزاء أخطاء القادة، قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، حيث قام الخليفة الوليد بن عبدالملك باستخدام أحد عيونه وجواسيسه لمراقبة أداء قادته أثناء فتح بلاد الأندلس، وهو مولاه مغيث الرومي، حيث نقل إليه التوتر الذي حدث بين موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وحذر موسى من مغبة اتخاذ أي إجراء عنيف ضد أو إزاء طارق بن زياد، بالتعاون مع علي بن رباح اللخمي[2].

كما أخبر مغيث الرومي الخليفة الوليد بن عبد الملك بخطط موسى بن نصير في التقدم في عمق الأندلس شمالاً، فطلب منه القدوم مع طارق إلى دمشق، وعندما تأخر في الوصول أرسل مبعوثاً آخر، وهو أبو نصر لكي يمنع موسى بن نصير من الاستمرار في العمليات، ويجبره على العودة[3].

ومن بين عمليات المراقبة هذه تجاه أداء القادة العسكريين، ما لجأ إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز قبل اتخاذه قراره الأخير بسحب حملة مسلحة بين عبدالملك من القسطنطينية إلى إرسال مبعوث عنه لتقدير الموقف، وظروف الحملة، وذلك

---

(١) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي العاني، طبعة بغداد ١٩٧٢، ص ٣٠١، والمبرد، الكامل في اللغة ٤ / ١٢١ - ١٢٥، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ٤٩.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) المقري، نفح الطيب، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٣٦، ١ / ٢٣٣ - ٢٤٣، وانظر دروزي، تاريخ مسلمي أسبانيا ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٣، ١ / ١٥٠.

لعدم اقتناع الخليفة الجديد بتقارير مسلمة، وكان تقويم مبعوث عمر بن عبدالعزيز هو ضرورة سحب الحملة[1] .

كما نقلت العيون والجواسيس إلى الخليفة يزيد بن عبدالملك أخبار توتر العلاقة بين قائدي حملته إلى العراق لقمع حركة يزيد بن المهلب، مسلمة بن عبدالملك، والعباس بن الوليد، فأرسل بناء على ذلك عثمان بن حيان المري، الذي أصلح بينهما[2] .

ويلاحظ أن الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك جعل له عيونًا وجواسيس عديدة في كثير من البلدان، مثل عيونه في ثغور أرمينية، وأذربيجان، هذه العيون استطاعت أن تقوم بمهمتها وما أسند إليها من واجبات على خير وجه، وبكل دقة.

فقد نقلت إليه سوء معاملة مسلمة بن عبدالملك، للقائد سعيد الحرشي، الذي خلفه مسلمة في القيادة، والذي سبق وأن حقق نصرًا مؤزرًا، ودحر العدو الخزري، فأرسل إليه رسالة شديدة اللهجة تضمنت: أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من خطئك في سعيد بن عمرو الحرشي، وشتمك إياه، واستخفافك بحقه، وضربك لواءه على رأسه، وسحبك له برجله إلى السجن[3].

استطاع الخليفة أن يحصل على الصورة الدقيقة لما قام به مسلمة عن طريق عيونه وجواسيسه رغم أن مسلمة هذا أخو الخليفة، فلم تمنعه الأخوة من مراقبة عماله حتى ولو كان أحدهم أخاه أو أشد أقربائه.

مراقبة الشخصيات ذات النفوذ: من المهام المنوطة بالعيون والجواسيس في العصر الأموي مراقبة الشخصيات ذات النفوذ في الدولة الأموية، هذه الشخصيات التي تشكل في يوم من الأيام تهديدًا للخلافة الأموية، فقد كان

(١) انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٦ / ٥٥٣ .
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ق ٢٣٢ .
(٣) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ٥٩ - ٦٠ .

العيون والجواسيس تراقب هذه الشخصيات بصورة غير استفزازية وغير منظورة، وبعيداً عن الإثارة، وتتفاوت المراقبة والالتزام بها بين خليفة وخليفة، فضلاً عن تفاوت طبيعة من يتم مراقبته من الشخصيات حسب الأفكار السياسية التي تحملها.

فالشخصيات التي يتم مراقبتها من قبل العيون تصنف كالتالي: شخصيات تنافس الأمويين على منصب الخلافة، مثل بني هاشم، أي مثل الرقابة التي كانت تجري على الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، أثناء إقامة الحسين رضي الله عنه في المدينة[1].

ومثل المراقبة التي جرت على الإمام علي بن الحسين رضي الله عنهما في عهد الخليفة يزيد بن معاوية، ولذلك أوصى قائده مسلم بن عقبة المري بحسن معاملته له، ولعدم وجود علاقة له بأهل المدينة أثناء ثورتهم[2].

ومثل مراقبة تحركات زيد بن علي في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك[3] من خلال هذه الأسماء الثلاثة التي تمت مراقبتها نجد الدافع لمثل هذا هو النشاط السياسي الذي كانت تمارسه هذه الشخصيات، والذي كان يهدد الخلافة على حد فهم الأمويين.

أما النوع الثاني من الشخصيات التي تتمتع بنفوذ كبير وكانت تخضع لمراقبة عيون جواسيس الخلفاء والأمويين، هي شخصيات تنتمي إلى العائلة الأموية، والتي تتسم علاقتها مع الخليفة أنها ليست على ما يرام، بل يسودها التوتر بسبب ولاية العهد، كما كان عليه الأمر بين الخليفة الوليد بن عبد الملك وولي عهده سليمان، وما بين الخليفة يزيد بن عبدالملك وولي عهده هشام بن عبدالملك. أو لاعتناقهم أفكار سياسية، لا تنسجم مع طروحات بني أمية وأجناد

---

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١ / ١٥٠.

(٣) ابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ / ٦٠.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين ١ / ٣٢٥، والدينوري، الأخبار الطوال ص ٢٢٤، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٧ / ١٦٥.

الشام في الخلافة، مثل عمر بن عبد العزيز[1] أو لاعتبارهم منافسين محتملين للخليفة، مثل خالد بن يزيد بن معاوية، في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان[2].

أما النوع الثالث من الشخصيات التي تتمتع بنفوذ كبير، وتوضع تحت المراقبة بأن تكون من المقربين من الخلفاء السابقين، إلا أن علاقته متوترة مع الخليفة الحالي، أو تتسم بالبرود، بسبب خلافات كانت بينها وبين الخليفة قبل وصوله إلى الخلافة، مثل تلك التي كانت بين رجاء بن حيوة الكندي، وهشام ابن عبدالملك[3].

أما النوع الرابع من هذه الشخصيات فلأنه مرشح لتولي منصب مهم من أجل معرفة كفاءته ونزاهته، كما حدث لبلال بن أبي بردة الأشعري، في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، حيث أثبتت نتيجة مراقبته عدم أهليته لتولي المنصب[4].

وأما النوع الخامس من تلك الشخصيات التي يتم مراقبتها فلأنه غير مستقر سياسيًا، ولديه طموح كبير، كما حدث للخليفة معاوية بن أبي سفيان مع عبيدالله بن الحر الجعفي[5].

أما النوع السادس من تلك الشخصيات فقد تم مراقبته؛ لأنه يؤمن بأفكار سياسية معادية للخلافة الأموية، كالخوارج، إلا أن ركونه إلى الهدوء كان يتطلب مراقبته خوفًا من تحوله من التقية إلى الثورة، كما هو الحال من الإباضية، في حين نجد نوعًا آخر من تلك الشخصيات رُوقبوا؛ لأنهم يحملون أفكارًا على الصعيد العقدي، لا تقرها الخلافة كالقدرية مثلاً، مثلما حدث لغيلان الدمشقي وصاحبه في أرمينية في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك[6].

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ١٦٤ - ١٦٥، ٢٠٢، يعقوب بن سفيان البسوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، طبعة بغداد ١٩٧٩، ١ / ٣٠٦.

(٢) يعقوب بن سفيان البسوي، المعرفة والتاريخ ١ / ٥٧١.

(٣) الحافظ الذهبي، تاريخ الإسلام أحداث ١٠١هـ - ١٢٠هـ.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥ / ٢٩٢، والمبرد، كتاب الكامل ٢ / ٥٢، ومؤلف مجهول، العيون والحدائق ٣ / ٦٠، وابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ٣٢٢.

(٥) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٢٧١، ٤٠٧، ٤٦٩، ٥٢٧، ٦ / ١٠٥، ١٠٦، ١١٦، ١٢٧ - ١٣٥.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٢ / ٣٥. وانظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ٨ / ٨٢ - ٨٣.

الخاتمة

أصبحت العيون والجواسيس أمرًا حتميًا في الدولة الأموية، نظرًا لأهميتها ليس في العصر الأموي فحسب- بل في العصور السابقة أيضًا، حتى في الحضارات القديمة، ومنذ عصر الرسول ﷺ، وعصر الخلفاء الراشدين، فالذي لا يدع مجالاً للشك أن بناء الدولة العربية الإسلامية قد ساهم فيه قنوات العيون والجواسيس سواء في عصر الرسول ﷺ، وكذلك عصر الخلفاء الراشدين، ومن خلال ما سبق بحثه فإن الدولة الأموية قد اعتمدت في إدارتها وسياستها على العيون والجواسيس، وأولتها عناية جيدة، وأهمية استثنائية، وذلك نظرًا لطبيعة الظروف التي انتقلت فيها الخلافة إلى الأسرة الأموية، واستمرت في أيديهم إحدى وتسعين سنة، ونظرًا لما امتاز به الخلفاء الأمويون، مما جعلهم يعملون على إعادة التوازن النسبي بين الواجبات الملقاة على عاتق العيون والجواسيس، على المستويين الخارجي والداخلي، استنادًا إلى المنطق القائل: «الأمن الداخلي مرتبط بالأمن الخارجي، وأن أي خلل في الداخل ينعكس سلبًا على صعيد الصراع مع الخارج، وهذا ما يفسر لنا تنوع القنوات التي من خلالها أو عن طريقها يحصل القادة الأمويون على المعلومات التي تخدم إدارتهم وسياستهم.

الناظر في الدور الذي قام به العيون والجواسيس خلال الحرب يجده دورًا إيجابيًا من خلال مساهماتهم الفعالة في تحقيق النصر في العصر الأموي، وكذلك خلال الإنجاز الداخلي في الدولة في مراقبة الجهاز الإداري، وكشف التنظيمات المعارضة ومراقبة القادة العسكريين، والشخصيات المهمة، وهذا كله لم يكن ليتم دون هيكل إداري وتنظيمي للعيون والجواسيس، بمثابة إدارة عليا متمثلة في الخليفة وصاحب البريد وعامل الخراج وصاحب الشرطة، مما جعل الأخبار والمعلومات تصل بسرعة وبدقة وموضوعية، وما كان هذا ليتم أيضًا إلا إذا كانت العيون والجواسيس على أعلى مستوى من الكفاءة والقدرة للقيام بالواجبات المنوطة بهم، ولن يقوموا بهذه الواجبات إلا إذا توافرت فيهم صفات معينة، حرص القادة الأمويون على وجودها فيهم واتسامهم بها دون أدنى شك أو نقص.

وتوخيًا لبلوغ هدف هذا البحث وإتمامًا للفائدة بعد استعراض نقاط البحث فإنه لابد من ذكر مجموعة من الحقائق عن العيون والجواسيس في العصر الأموي:

١- مدى حاجة الدولة للعيون والجواسيس حتى تستطيع تأمين نفسها في الداخل والخارج.

٢- التوجيه والإرشاد المستمر للعيون والجواسيس منبعها الدين الإسلامي.

٣- انطلاق هذه العيون والجواسيس من أخلاق المسلمين ومروءتهم.

٤- الدولة تولي العيون والجواسيس عناية خاصة حتى تتجنب المفاجآت العدوانية.

٥- استخدام العيون والجواسيس ضروي لكل دولة سواء أكان لجمع المعلومات عن العدو وإعدادها للاستفادة منها عند الحاجة، أو لمقاومة جواسيس الأعداء.

٦- وجوب الحذر من العدو في السلم والحرب واستخدام كافة الوسائل الممكنة لمعرفته والوقوف على مخططاته.

٧- ضرورة استخدام التخطيط كأهم وسيلة في القتال، وهذا التخطيط يبنى على معرفة جيدة ومعلومات أكيدة يقوم بإعدادها العيون والجواسيس.

٨- جواز اتخاذ العيون والجواسيس من غير المسلمين إذا ما اطمأن إليها القادة والخلفاء والأمراء المسلمين.

٩- وجوب التحفظ في أخبار الجواسيس ومعاملتهم بالحذر والاهتمام مع التلطف والتودد، والبذل والعطاء والوفاء لهم ولذويهم نظرًا لأنهم يعملون لصالح الدولة الإسلامية.

١٠- اتخاذ الحاكم العيون والجواسيس على الرعية لكي يتفقد أحوالها ويتحسس احتياجاتها، ومراقبة أعمال الولاة، حتى يتمكن من إنصاف المظلوم ورد الحقوق إلى أهلها وتدارك الخلل قبل فوات الأوان.

١١- يجب وضع العيون والجواسيس على أهل الريب وأصحاب البدع والضلالة، وتعقبهم ومعرفة أفكارهم، حتى يتمكن من تأديبهم وتخليص الأمة من شرهم.

وبهذا أرجو أن أكون قد حققت هدفي وتوصلت إلى إعداد دراسة عن العيون والجواسيس في العصر الأموي.

رسالة عبد الحميد الكاتب عن العيون والجواسيس: قال عبدالحميد الكاتب:

«... ثم أذك عيونك على عدوك متطلعًا لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها، ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي قدوا أعناقهم نحوها، وأيّ الأمور أدعى لهم إلى الصلح، وأقودها لرضاهم إلى العافية، وأسهلها لاستنزال طاعتهم، ومن أي الوجوه مأتاهم، أمِنْ قِبل الشّدة والمُنافرة والمكيدة والمُباعدة والإرهاب والإيعاد، أو الترغيب والأطماع، متثبتًا في أمرك، متخيرًا في رَويّتك، مستمكنًا من رأيك، مستشيرًا لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم[1] السِّن وضبطتهم التجربة، محترسًا من الغرّة، كأنك في مسيرك كلِّه ونزولك أجمع مُواقفٌ لعدوك رأْي عينٍ تنتظر حملاتهم وتتخوف كرّاتهم[2]، مُعدًا أقوى مكايدك وأرهب عتادك...، احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك، وإياك ومعاقبة أحد منهم على خبر إنْ أتاك به اتهمته فيه، أو سُؤت به ظنًا، أو أتاك غيره بخلافه، أو أن تكذبه فيه فتردّه عليه، ولعله أن يكون قد مَحَضَك[3] النصيحة وصدقك الخبر، وكذبك الأول، أو خرج جاسوسك الأول متقدمًا قبل وصول هذا من عند عدوّك، وقد أبرموا لك أمرًا، وحاولوا لك مكيدة، وأرادوا منك غرّة[4]، فازدلفوا إليك في الأهبة...، واجعلهم أوثق من تقدر عليه، وآمَنَ من تسكن إلى ناحيته ليكون ما يُبْرِم[5] عدوك في كل يوم وليلة عندك إن استطعت ذلك، فتنقُض[6] عليهم برأيك وتدبيرك ما أبرموا، وتأتيهم من حيث أمِنوا، وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا، وتستعد لهم بمثل ما حذروا.

---

(١) حنكتهم السّق: تمرسوا بالتجارب.

(٢) كرّاتهم: هجومهم.

(٣) محضك: أسدي إليك. ابن منظور، لسان العرب «م.ح.ض».

(٤) غرّة: غفلة.

(٥) يبرم: يخطط. ابن منظور، لسان العرب، «ب.ر.م».

(٦) تنقُض: تفشل.

واعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صَدقوك، وربما غشوك، وربما كانوا لك وعليك، فنصحوا لك وغشو عدوك، وغشوك ونصحوا عدوّك، وكثيرًا ما يصدقونك ويصدقونه، فلا تبُدرنَّ منك فرطة عقوبة إلى أحد منهم، ولا تعجل بسوء الظن إلى من اتهمته على ذلك، واستنزل نصائحهم بالمباحة والمنالة[1]، وابسط من آمالهم فيك من غير أن يرى أحد منهم أنك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتّبع له، أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه، أو رددته عليه ردّ المكذب به، المتهم له، المستخف بما أتاك منه، فتفسد بذلك نصيحته، وتستدعي غشه وتجتزّ عداوته.

واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضًا، فإنك لا تأمن من تواطئهم عليك ومالأتهم عدوّك، واجتماعهم على غشك وتطابقهم على كذبك، واصفاقهم على خيانتك، وأن يورط بعضهم بعضًا عند عدوك، فاحكم أمرهم، فإنهم رأس مكيدتك، وقوام تدبيرك، وعليهم مدار حربك، وهو أول ظفرك، فاعمل على حسب ذلك، وحيث رجاؤك به، تنل أملك من عدوك، وقوتك على قتاله، واحتيالك لإصابته غِرّاته[2]، وانتهاز فرصة إن شاء الله[3].

واحذر أن يعرفوا في عسكرك، أو يشار إليهم بالأصابع، وليكن منزلهم على كاتب رسائلك - وأمين سرّك- ويكون هو الموجه لهم، والمُدخل عليك مَن أردت مشافهته منهم، واعلم أن لعدوك في عسكرك عيونًا راصدة، وجواسيس كامنة، وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايده به، ويحتال لك كاحتيالك له، ويعدّ لك كإعدادك له قيمًا تزاوله منه، ويحاولك كمحاولتك إياه فيما تقارعه عنه، فاحذر أن يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوّك ويعرف موضعه، فيُعدَّ له المراصد[4]، ويحتال له بالمكايد، فإن ظفر به

---

(١) المباحة والنالة: الإعطاء والمكافأة. ابن منظور، لسان العرب «ب.ي.ج»، «ن.و.ل».

(٢) غرّاته: غفلاته، ابن منظور، لسان العرب «غ.ف.ل».

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ١ / ٢١٤، ٢١٥.

(٤) المراصد: الكمائن، ابن منظور، لسان العرب «رصد».

فأظهرَ عقوبتَه، كسر ذلك ثقات عُيُونك وخذلهم عن طلب الأخيار من معدنها، واستقصائها من عيونها[1] ، واستعذاب اجتنائها من ينابيعها حتى يصيروا إلى أخذها مما عُرض من غير الثقة ولا المعاينة[2] لقطًا لهم بالأخيار الكاذبة والأحاديث المرجفة[3] .

تضمنت هذه الرسالة العديد من الأمور التي تهم الدولة من حيث عمل العيون والجواسيس منها :

١- إنها حثت على إعداد العيون إعدادًا جادًا يكون لهم القدرة على القيام بالعمل الأمني، والقدرة على تحقيق المهام الموكلون بتنفيذها.

٢- أن يكون لدى العيون والجواسيس القدرة والكفاءة في معرفة أحوال العدو ومنازلهم، والأطماع التي يهدفون إليها، والقدرة على التحليل العميق، والاستنباط الدقيق، والقدرة على معرفة المدخل المناسب للعدو، سواء من باب الترهيب والقوة، أو من باب الترغيب.

٣- على الدولة أن تستعين بذوي الخبرة؛ لأنها تمكنهم من معالجة الأمور وتقييم المعلومات.

٤- أن يكون لدى العيون والجواسيس القدرة على نقل جميع أخبار العدو صغيرها وكبيرها، مما يجعل المسئولون يرون العدو كله رؤية عين من خلال تلك العيون.

٥- مراعاة العلاقة بين الدولة وبين عيونها، مما يجعل هذه العيون أوثق الناس وأأمنهم.

٦- تقديم العيون المعلومات عن العدو أولاً بأول كل يوم وليلة.

---

(١) عيونها: المقصود من مصادرها.

(٢) المعاينة: المشاهدة، ابن منظور، لسان العرب «شهد».

(٣) المرجفة: الكاذبة، ابن منظور - لسان العرب لابن منظور «رجف»، وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى ١٠ / ٢١٥ .

٧- حكمة القيادة في معاقبة عيونها، وعدم العجلة في سوء الظن بهم.

٨- الحذر من أن يعرف بعض العيون بعضهم، حتى لا يتواطئون على الدولة والقيادة.

٩- الحكومة والمسئولون يحكمون أمرهم بناءً على المعلومات المقدمة من العيون والجواسيس سواءتهم هذه المعلومات داخل الدولة أو خارجها.

١٠- الحذر من أن تُعرف العيون في عسكرهم أو يشار إليهم بالبنان.

***

المصادر والمراجع

١- إبراهيم شوكت، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، ترجمة صالح فليح، وخلدون داود صبري، طبعة بغداد لعام ١٩٩٠م.

٢- الأبشيهي ، محمد بن أحمد ت ٨٥٠هـ، المستطرف في كل فن مستظرف، طبعة بغداد، بدون تاريخ.

٣- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٨٢م.

٤- أحمد هاني، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، طبعة الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٤م .

٥- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد ت ٨٦٩هـ، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، طبعة بغداد ١٩٧٨م .

٦- الأصبهاني ، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، طبعة النجف الأشرف للعام ١٣٥٣هـ .

٧- ابن أعثم الكوفي، أحمد بن محمد ت ٣١٤هـ، كتاب الفتوح، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

٨- أنيس صائغ، الأسطول الحربي الأموي، طبعة بيروت ١٩٥٦م .

٩- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس ت ٩٣٠ هـ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة بولاق - القاهرة ١٣١١هـ .

١٠- البسوي، يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، طبعة بغداد ١٩٧٩م .

١١- البلاذري، أحمد بن يحيى ت ٢٧٩، أنساب الأشراف، طبعة القاهرة ١٩٥٩م، وفتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- بدون تاريخ.

١٢- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي ت ٣٨٤هـ، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، منشورات دار صادر- بيروت ١٩٧٨م.

١٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، طبعة دار الاعتصام- القاهرة ١٩٧٢م.

ورسائل الجاحظ، كتاب البغال، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الخانجي- القاهرة ١٩٦٤م .

١٤- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ، الوزراء والكتاب، الطبعة الثانية، طبعة الحلبي - القاهرة ١٩٨٠م.

١٥- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية ت ٢٤٥هـ، تحقيق سيد كسروي، طبعة دار الغد العربي- القاهرة - عام ٢٠٠٠م.

١٦- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق محمد علي البجاوي، طبعة دار نهضة مصر- القاهرة بدون تاريخ.

وتقريب التهذيب، تقديم ودراسة محمد عوّامة، الطبعة الرابعة، دار الرشيد- سورية ١٩٩٧م

وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة المطبعة السلفية- القاهرة .

١٧- ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد ت ٦٥٦هـ، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٩م .

١٨- حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، طبعة دار الجيل - بيروت ١٩٨٧م .

١٩- الحسيني، س .أ.ق، الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي، طبعة مكتبة الآداب- القاهرة ١٩٥٨م.

٢٠- الحموي، علي بن حجة الحموي تقي الدين أبو المحاسن ت ٨٣٧هـ، ثمرات الأوراق في المحاضرات، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت بدون تاريخ.

٢١- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت ٧٢٧هـ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، نشر مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

٢٢- خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ، تاريخ خليفة، تحقيق أكرم ضياء العمري، طبعة دار طيبة- الطبعة الثانية - الرياض ١٩٨٥م .

٢٣- الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبدالرحمن ت ١٧٠هـ، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، طبعة دار الحرية- بغداد ١٩٨٤م.

٢٤- أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي ت ٢٧٥هـ، سنن أبي داود، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.

٢٥- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوح- طبعة الخانجي - القاهرة ١٩٦٨م.

٢٦- دروزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، ترجمة حسن حبشي - القاهرة ١٩٦٣م.

٢٧- الدينوري، أبو حنيفة ت ٢٨٢هـ أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة القاهرة ١٩٦٠م .

٢٨- الذهبي، محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبدالسلام، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٠م، وطبعة دار الغد العربي - القاهرة ١٩٩٦م .

- والعبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بسيوني، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٥م.

٢٩- **الراغب الأصبهاني**، الحسين بن محمد المفضل أبو القاسم ت ٥٠٢هـ، الذريعة إلى مكارم الشريعة، طبعة القاهرة ١٣٩٣هـ.

٣٠- **الزبير بن بكار** ت ٢٥٦هـ، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي العاني، طبعة بغداد ١٩٧٢م.

٣١- **ابن سعد**، أبو عبدالله محمد بن سعد كاتب الواقدي ت ٢٣٠هـ، الطبقات الكبرى، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٢- **ابن سلام**، أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، الطبعة الثانية، دار الفكر - القاهرة ١٩٧٥م .

٣٣- **السيد عبد العزيز سالم**، وأحمد مختار عبادي، البحرية الإسلامية، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٦٩م .

٣٤- **الشوكاني** محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥هـ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة بدون تاريخ.

٣٥- **ابن طباطبا**، محمد بن علي ت ٧٠٩هـ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبعة محمد علي صبيح - القاهرة ١٩٦٢م.

٣٦- **الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف ١٩٧٧م.

٣٧- **الطرطوشي**، محمد بن الوليد بن محمد ت ٥٢٠هـ، سراج الملوك، طبعة الإسكندرية، المطبعة الوطنية ١٨٧٢م .

٣٨- **العباسي**، أبوعلي الحسن بن عبد الله، آثار الأُول في ترتيب الدول، طبعة بولاق - القاهرة ١٨٧٨م.

٣٩- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله ت ٢٥٧هـ، سيرة عمر بن عبدالعزيز، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٣م.

وفتوح مصر والمغرب، تحقيق شارلز تورّى، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ١٩٩٩م.

٤٠- عبدالقادر بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر، طبعة منشورات دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

٤١- عبد الله علي مناصرة، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م.

٤٢- علي عباس مراد، الأجهزة الاستخبارية، مجلة الأمن القومي، بغداد، كلية الأمن القومي- العدد الثالث للعام ١٩٨٥م.

٤٣- أبو علي القالي، كتاب الأمالي، طبعة دار الكتب المصرية للعام ١٣٤٤هـ.

٤٤- علي محمود فهمي، التنظيم البحري الإسلامي في مشرق المتوسط في القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبده قاسم- طبعة بيروت بدون تاريخ.

٤٥- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت ١٠٨٩هـ، شذرات الذهب، طبعة دار الميسرة - بيروت ١٩٧٩م.

٤٦- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن ١٣٠٢هـ.

٤٧- فيلهلم هونيرباخ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية، طبعة تطوان - المغرب ١٩٥٤م.

٤٨- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ، الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، طبعة مؤسسة الحلبي - القاهرة بدون تاريخ.

- وعيون الأخبار، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦م.
- وكتاب المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٨١م .
٤٩- **قدامة ابن جعفر**، كتاب الخراج، تحقيق محمد جسين الزبيدي، طبعة بغداد ١٩٨١م.
٥٠- **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨م.
ومآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة عالم الكتب- بيروت ١٩٨٠م.
٥١- **الماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠هـ: تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق ودراسة رضوان السيد، طبعة دار العلوم العربية، بيروت ١٩٨٧م .
٥٢- **المبرد**، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، منشورات مؤسسة المعارف - بيروت بدون تاريخ.
٥٣- **مجد الدين محمد بن يعقوب**، القاموس المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة - بدون تاريخ.
٥٤- **مجموعة من المؤلفين**، حضارة العراق، طبعة دار الحرية - بغداد ١٩٨٥م.
٥٥- **مجموعة من المؤلفين**، صناعة الكتابة وتطورها، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق - بدون تاريخ.
٥٦- **محمد الإسكافي**، لطف التدبير، تحقيق أحمد عبد الباقي، طبعة مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٤م.
٥٧- **محمد جمال الدين محفوظ**، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٦م.

٥٨- **محمد بن الحسن الأزدي**، جمهرة اللغة، طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ .

٥٩- **محمد راكان الدغمي**، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، طبعة دار السلام - القاهرة ١٩٨٥م.

٦٠- **محمد بن عمر**، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، طبعة بيروت ١٩٥٨م.

٦١- **محمد بن القاسم**، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، طبعة بغداد ١٩٨٧م.

٦٢- **محمد مرتضي**، تاج العروس، طبعة دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازي ١٩٦٦م .

٦٣- **محمد بن نباتة** ، شرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون، طبعة بولاق، المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٧٨م.

٦٤- **محمود شلبي**، اشتراكية عثمان رضي الله عنه ، الطبعة الثانية - دار الجيل- بيروت ١٩٧٤م .

٦٥- **المسعودي**، علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين - طبعة دار المعرفة - بيروت ١٩٨٢م.

وتحقيق وشرح وتقديم مفيد قميحة - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦م.

٦٦- **مسلم القشيري الإمام**، صحيح مسلم، شرح محمد الذهني، طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٧هـ.

٦٧- **ابن منصور**، محمد بن المكرم أبو الفضل ت ٧١١هـ، لسان العرب، طبقة دار المعارف - القاهرة، بدون تاريخ.

٦٨- مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، طبعة مكتبة المثنى- بغداد، بدون تاريخ .

٦٩- مؤلف مجهول ، نبذة من كتاب التاريخ، بعناية بطرس عزيار طبعة موسكو - أكاديمية العلوم السوفيتية - معهد الدراسات الشرقية ١٩٦٠م.

٧٠- مجموعة من المؤلفين ، الموسوعة العسكرية، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٧١- النرشخي، محمد بن جعفر أبو بكر ت ٣٤٨هـ، تاريخ بخارى، تحقيق أمين عبد المجيد، ونصر الله مبشر الطرازي، طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٩٣م.

٧٢- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢، نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.

٧٣- الهرثمي، أبو سعيد الشعراني ت في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، مختصر في سياسة الحروب، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، طبعة دار كنان، سورية ١٩٩٥م .

٧٤- الهروي، علي بن أبي بكر ت ٦١١هـ، كتاب التذكرة الهروية في الخيل الحربية، طبعة مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، بدون تاريخ.

٧٥- أبو هلال العسكري، عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ، كتاب الأوائل، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، منشورات دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض ١٩٨٠م.

٧٦- وفيق الدقدوقي، الجندية في عهد الدولة الأموية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ١٩٨٥م.

٧٧- ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، طبعة دار صادر - بيروت ١٩٧٩م.

٧٨- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر، طبعة النجف - بغداد ١٣٥٨هـ، وطبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٠م.

المراجع الأجنبية:

79- Konetti (Ilios) Mosse et ruissance p. 317 - 318 . Egallimard .

80- Lane Poole (Stanly) : Studies in a Mosque.(London . 1893).

81- Muir (William Temple): The caliphate, Its Rise, Decline and Fall (London 1924).

82- Nichalson, Literary History of the Arabs. Cambridge, 1964 .

83- Nizam al- Mulk: Traite de gouvernement traduit du persan et annate par charles Seheffer Sindbad. Paris 1984 .

84- Shedd (W. Ambrose): Islam and the Oriental Churches, (Philadelphia 1904).

***